الأعمال الشعرية الكاملة

حلمي سالم

الجزء الثاني

الهيئة العامة لقصور الثقافة

الأعمال الشعرية الكاملة
حلمى سالم

(الجزء الثانى)



التزويـــد

سلسلة
الأعمال الكاملة

تصدرها
الهيئة العامة لقصور الثقافة

• الأعمال الشعرية الكاملة
حلمى سالم (ج٢)
• حلمى سالم
القاهرة 2014م
• تصميم الغلاف:
أحمد اللباد
• المراجعة اللغوية: عادل سميح
• رقم الإيداع: ٢٢٥٤/ ٢٠١٤
• الترقيم الدولى: 978-977-718-615-5
• المراسلات:
باسم / مدير التحرير
على العنوان التالى: 16 شارع أمين سامى - قصر العينى
القاهرة - رقم بريدى 11561
ت: 27947891 (داخلى: 180)
• الطباعة والتنفيذ:
شركة الأمل للطباعة والنشر
ت: 23904096

الأعمال الشعرية الكاملة

حلمى سالم

ديــــوان

البائية والحائي

(١٩٨٨)

السيدةُ الموهومة

سوف أَسَمّي الجُرحَ مُعادلَةً

هذي السيدةُ الصُّغرى مُقبِلةٌ في خَطوٍ رفّافٍ

صوبَ المحنةِ والمَشرَطِ

تشكو لفؤادي وحدتَها الممدودةَ من أنملها

حتى النافذةِ المكسورةِ فوق الكتفينْ.

التفتتْ خلفَ الأدراجِ المقفولةِ،

ضَمّتْ فوق الصدرِ يمامتَها المخطوطةَ،

وتَأَمَلَت العمر المتسرّب في سَفَرٍ، قالت:

أتشهّى أن أفنى في كفّيك كقُبّرَةٍ.

قامت بين البدنين الأقصوصةُ

كان جنينٌ يخدشها فرمتْه إلى الجندولِ،

وهمستْ: كانت نُطَفي تشبه بسمتَكَ بأوهامي.

أوّلتُ لنفسي نبضي،

فوددتُ لو اني في نهديها استخفيتُ وصحتُ:

أريدكِ لي.

لكن الصحفيينَ الثوريينَ استرقوا السمعَ،

فلُذْتُ بتحليلِ البنيةِ والإيقاعِ النَحْويّ،

ورُحتُ أُسَمّي الجَرحَ معَادَلةً:

ليس على الشجرِ محَفّاتٌ للروحِ،

ولا فوقَ حقولِ القمحِ حماماتٌ نازِفةٌ،

لكن التقاربَ بينهما صعبٌ

وطويلٌ سُلَّمُهُ المسنودُ على مَرْوَحةِ القَتْلى.

هل أكملتِ روايتَكِ الأولى؟

وهل ابتدأتْ حتى تكتملَ،

أنا شَخَّصَ لي وهَمي فيكَ ضلوعَكَ وضلوعي منطبقَيْنِ

كمثلِ زُمُرُّدَةٍ بزمردةٍ.

قُلت: ولكني سأُتمُّ على عينيكِ الزائغتينِ
قصيدةَ طللٍ يتغنّى مطلعُها الراجزُ
بالرغبةِ في أنْ أتَلقّاكِ من المَهْوىَ في غَسَقٍ
عاريةً بين يديّ
وهذا الجرحُ مُعَادَلةٌ،
لكن السيدةَ الصُّغرى تكتبُ أقصوصتَها الذاتيةَ.
تدفن ثدييها في صدر الذَّكَرِ الميّتِ،
وتقول وراءَ الجثمانِ لعينيّ:
أنا أنتظركَ كبنفسجةٍ تنتظرُ بنفسجةً،
وأُمَنّي لحظاتِ التنوير بأحرفكَ على بدني المستوحِشِ.
تَنّصعُ في الصمتِ مصائرُ غامضةٌ
متعاكسةُ الطُّرُقاتِ،
وهذي السيدةُ الموهومةُ تغدو في المستشفى الخَيْريّ
معادلةً لمعادَلة:
لأناملِ قدميها بهجةُ أبريلَ،

وفي وحدتها المختارة نمطٌ من كَوْنٍ
يوشك أن ينحلَّ إلى رَمْزَينِ:
فرمزٌ من ظمأ اللهِ،
ورمزٌ من لغةِ الموجوعينَ.

تلصّصتُ على ساقيها تنتقلان على الصفحاتِ البيضاءِ،
السيدةُ الصغرى تكتب في خاتمةِ الأقصوصةِ:
جمراتٌ تحت الجلباب الواسعِ،
والعالمُ ندَفٌ من ثلجٍ أبيضَ محلولٍ.
كيف يواجه قلبُ المأزومِ الفعليّ
معادَلةَ امرأةٍ
مُقْبِلةٍ في خطوٍ رَفّافٍ صوبَ المحنةِ والمشْرطِ،

تشكو لفؤادي وحدتَها الممدودةَ من أنملها
حتى النافذةِ المكسورةِ فوق الكتفين؟

استلّتْ من قبو الأدراجِ يمامتها المخضوبةَ،
وانحرفتْ عنْ منظوري مترَيْنِ سحيقيْنِ،
وظلّتْ تتراوحُ في الشرفةِ أزمنةً،
تركتْ أقصوصتَها فوق الشَّعرِ المُبْيَضّ ببطني،
ومَضَتْ نحو المَشْرَط.

١٨ مايو ١٩٨٧

يَخْرُطُ أمكنةً

فَرَحٌ يَبْغَتُ قلبَيْنِ

ويدهَمُ مائدةً تحمل قدحَيْنِ من الليمونِ

ومطلعَ نصٍّ ذاتيٍّ

وبقايا من رئة.

السيدةُ الصغرى مستغرقةٌ في تذكارٍ من أوراسَ،

وأطرافُ الرجلِ مُعَلّقَةٌ في خُطّافِ اللحظاتِ،

ونَصْلٌ يتأرجحُ في كُوّاتٍ مُعتمةٍ.

هذا الفَرَحُ مريبٌ هَجّامٌ،

ما شاغَلَ بالوعدِ الأفئدة،

ولا أرسلَ قبلَ الطعنةِ نخلاتٍ تختبرُ الأضلاعَ،

وتومئُ للشجرِ بقمصانٍ زانتْها الخاطرةُ،

فتوحي للمنذور بورداتٍ مشبوكاتٍ بقلائدَ من وهرانَ،

سترفعها أسطحُ فتيانٍ مُعْتَلّينَ بوجعٍ فرحانَ.

مُرِيبٌ هَجّامٌ،
لم يُقْعِ كجروٍ ينبشُ خلفَ النافذةِ صباحاً،
ينتظرُ ثقوبَ البهجةِ كي ينفذَ للمُهجةِ كاللصِّ،
ولم يتدرجْ كالثوراتِ،
فجائيًّا خَرَقَ الكبدَيْن على مائدة.
يَنْعَتُ حالتَه فيقول: أنا أَخرُطُ أمكِنَةً،
وأروِّجُ لشطائرِ قلقلةِ المألوفِ الوجدانيّ،
وأمضي في عكسِ الصحفِ الحزبيةِ نحو الجرفِ القلقانِ،
أنا صانعُ أسئلة.
سيدةٌ في نافذةٍ تستوحدُ في ذكرى
المشروخينَ،
تضاهي الجسدَ العريانَ بشمس الصحواتِ،
وتذهبُ في نشوةِ سنبلة:
تدعَكُ عرقَ الجسدِ المُتَنَزِّي بالكفّيْن،
تُوزِّعُ مِنَحَ الشمس الحَرّى في مِنَحِ البدنِ الحَرّانِ.
فهل عَرَقٌ أم خيطٌ من رِيقي يتهدجُ

فوقَ الراوي والمرويِّ؟
السيدةُ الطقسيةُ أغمضت العينَيْنِ
وأسَلمتِ النَفْسَ لحالتها أحقاباً خاطفةً.
جَدَلٌ بين سِقاياتٍ في خلجانٍ يقظى.
ارتجفَ البابُ،
فنَهضتْ في نَقْلاتٍ مُشْبَعَةٍ
نحو الحَمَّام التُّركيِّ.
فجائيٌّ
هَجّامٌ ومريبٌ يندقُّ كساريةٍ في مائدةٍ
من وهرانَ إلى أعضائي،
ويُبَلِّغُ جَمْهَرةً:
لزيارتها معنى الأبديةِ،
ولمشيتِها نحو الحافلة فناراتٌ لبكور
الصيادينَ،
لتفاحتِها قنديلُ الطبقاتِ،
وفي ثنياتِ ملاءِتها اسمٌ من أسمائي.

فَرَحٌ عاديٌّ

يخلو لطبائعه كي يقنِصَ بدنَ العادِيِّنِ،

كمثلِ القوسِ العاديِّ:

يُسَمِّرُ باللمسةِ وَعْلاً عاديًّا،

يتخضّبُ ببحيرته العاديةِ في ركضٍ عاديٍّ.

فرحٌ عادِيٌّ

لكنَّ دمَ الوعلِ استثنائيٌّ،

فبأيِّ مغاراتِ الروح يُخَبِّئُ فرحانِ اللؤلؤةَ عن السابلةِ

وعن خُطَطِ العَيّارِينَ؟

تَخَلّتَ عن حارسِها في نَصّيْنِ جديدَينِ،

خَطّتْ فوق الأنثى وأذاعتْ لي:

يُعجِبُني جسدي

وأنا سأصونُ صفاءَ نعيمي

لصفاءِ جحيمكَ يومَ الجَيَشانِ.

أنا النورسُ علّمَني
أن العطشانةَ للعطشانِ.
فَصُنْ صائنةً.
قلتُ: فكيف نُسمّي هذا الطيرَ الحائمَ بين الظّمأَينِ؟
أجابت: أو لم تكتبْ ذاتَ أنين:
«كيف تسَمّي هذا الشيءَ الأبيضَ
بين العازفِ والمعزوفة؟»
قلتُ: بلى، وحفرتُ على صدري:
«لا تقترحِ الليلةَ رُتباً
للوقتِ المملوءِ بهذا الشيءِ الأبيضِ
بين الحلمة وأناملها الموصوفة».
قالت: فالآيةُ أن لا وصفَ يحيط بما يَتَنَزّهُ عن
أوصافِ الوَصّافينَ،
ولا سمةَ تُلَخّصُ فَرَحاً باغتَ مائدةً
تحملُ قدحَيْنِ من الليمونِ ومطلعَ نصٍّ ذاتيٍّ،

فهو مُريبٌ كالمدنِ البحريّةِ
وهو حضاراتٌ كامنةٌ ترسلها الأعضاءُ المضمومةُ.
تتكئُ على مرفقها السيدةُ الموهومةُ،
وتُعَيّنُ مشواراً للماشِينَ إلى دَحْضِ الشكلِ،
ومِشكاةً للساعِينَ إلى جوهرةٍ،
وهو بمكمنِه ينعتُ حالتَه فيقولُ:
فضاءُ الصّاغةِ لي،
وأنا الواهبُ أخيلةً،
والمجنونُ بوَضْعي.
نكسرُ أقنعةً،
ينخلعُ على تيه براءتنا الوجه الصدِئُ
وينخلعُ الإرثُ،
فأُفصِحُ: أهوَى أنْ آخذَكِ على زَنْدِيّ وأهوِي للقيعانِ:
السيدةُ الصغرى تهمسُ في خَلَلٍ:
خَلِّصْ روحي من روحي،

واتبعْني من أوراسَ إلى سَقّارَةَ.
نكسرُ أقنعةً
ونسوقُ الكونَ المُتَلَكِئَ بعَصاً.
هذا يومٌ من آدمَ،
طاغوتٌ من فَرَحٍ في خطّافِ اللحظاتِ،
فليس على الرجلِ الفَرْحانِ
وليس على السيدةِ الفرحانةِ
إلا أن ينتخبا عُرْيَهما بين حدودِ البلدانِ،
لعلهما يكتشفانِ النبعَ،
ويحترقانِ،
بِرِيبَةِ فَرَحٍ هَجّام.

يونيو ١٩٨٧

الشخصانِ الفَرِحَانِ

قِشْرَةُ بركانٍ خُدشتْ
فاندلقَ الكونُ المصهورُ أمام غريبيْنِ،
ارتجلَ غريبٌ: سنكون جميليْنِ،
ونصنعُ فانوساً ممسوساً بوساوسِ
لغةِ المخطوفينَ إلى النزف الحر بقلبيْنِ
انعتقا من نورانياتهما ليصيرا بَشَرِيّيْنِ.
وهمسَ غريبٌ:
لحفيفِ الشجرِ حساسيةٌ صاحيةٌ
تنغلُ في قاع الروحِ وتُخَبِّرُ عن فتقٍ في الدنيا،
وتُسَمّي هاجسَها فَرَحَ الملموسيْنِ.
تَدَلّتْ مائدةٌ،
قابلني الرجلُ الرمزيُّ المتخفّي في مُتّكآتي الشِّعريةِ،
يجري نحوي من فَجّ دهاليزي وكمائنِ شينِ عيْنِ راءْ.

قال: زمانُكَ أقصرُ من فاتحة،

ومكانُكَ أصغرُ من مَشْيِ أناملكَ على خَدّيْ سيّدة

سألتك على كُرْسِيّ بَحْرِيّ:

كيف نقيسُ الهُوّةَ بين قصائدِكَ ورئتيَّ؟

الرجلُ يلاعبُ تحت تَكِيّتِهِ المعتمةِ قبائلَ غُفْلاً:

ويُجَهّزُ للمصهورِ نساءً مصهورات،

ويُحَمّمُ سيدتي الموهومة لملاقاة المحنة واللاهوت،

يُطِلُّ على مِحرقتي ويقولُ:

اظهرْ ليديها أعلى من عائلةِ النثر،

وخُصّ ملامحَها بشجيراتِ المنزلِ،

واشددْها أبْعَدَ منَ أقطارِ العُرْبانِ،

وكن لسبائِكها موقعةً.

عابرةٌ من روحِ النَعنَاعِ انخطفتُ في أسئلةٍ:

من أيةِ نافذة

سوف نواجهُ ضَغنَ الفاكهةِ الزائفةِ ونخرُج لليوميينَ؟

وكيف سنحفظ من تبويب الثوار المحترفينَ

فؤادَيْنِ انعتقا من نورانياتهما ليصيرا بشريّيْنِ؟

أجبتُ: النافذةُ بساطةُ كُمثرى،

والحافظةُ خَفَافِيَةُ المحفوظِ بصدَريْنِ،

تَميمَتُنا قولُ الرجلِ الرمزيّ:

يا نسيمَ الروحِ قولي للرّشَا

لم يُزِدنْي الورْدُ إلا عَطَشا

لي حبيبٌ حُبُّه وَسْطَ الحَشَا

إن يَشَأ يمشي على خَدّي مَشَى

روحُه روحي وروحي روحُه

إن يشأ شِئتُ وإن شِئتُ يَشَا

يلطمني الرجلُ الرمزيُّ مداراةً للأنثى،

ويلاعبُ تحت تكيتهِ المعتمةِ الموهوبينَ وأربابَ الصنعةِ،

يمتحن السيدةَ الصغرى: كيف تنامُ بنفسجةٌ؟

فتجيبُ: مُرَفْرِفَةً.

فيقبّلها بين العينينِ ويلطمها بالسّعَفِ
مداراةً لي،
ويناديني: انتبهِ الوهلةَ يا فرحانُ،
فدُرتُ على رسْغيَّ،
لمحتُ السيدةَ الموهومةَ تُنشدُ في جَبَلٍ:
خذني للتأويلِ،
وعَلّمني كيف تكونُ الفرحانةُ جمراً في زَندَيْنِ،
وعَلّقْني في أسبطةِ التفعيلةِ ميزاناً للمهزوزينَ،
ومُنشأةً.
مُدّتْ مائدةٌ،
يا سيدةً من روحِ النعناع اعتدلي في سنواتي.
هذي ستٌ وثلاثونَ مبايَعَةً خاسرةً،
فارتجلي للسّريان سبيلاً أبقى من سُبُلِ الحِرَفيّينَ
وأندى من أهلِ البيتِ،
وحُطّي الهيمَنَةَ عليّ:
أنا الموروبةُ في مقطعِكَ الشخصيّ.

فما تبتدرينَ؟

أجيؤكَ في صُبحٍ أفتحُ بابكَ ببلادي.

فمتى تُقلِعِ أشرِعَةٌ؟

ليلةَ ترمي للغامضِ مفتاحَ بلاغتهِ الغامضةِ،

وتمنحُ للبشريّينَ الحلْيَةَ والصُّلحَ.

لماذا خُدشتْ قشرةُ بركانِ الفَرِحَيْنِ؟

لأن الأبيض قامَ.

فما سعَةُ الأبيضِ؟

يمشي تحت بيارقه الشعرُ،

وشهوةُ رأبِ الصدّعِ،

وعُرْيُ القطةِ،

ورواياتُ الأدباءِ المغمورينَ،

أصابعُ فوق الحلَماتِ،

وهَبّاتُ السّقّالينَ،

مكاشفةُ الجرحِ لجرحٍ،
جسدٌ مختَزَلٌ في جَسَدَيْنِ.

حفيفُ الشجرِ حساسيةٌ صاحيةٌ،
والرجلُ الرمزيُّ أطاحَ بثوبي في ماءٍ قلقٍ،
أوقدَ قنديلاً قادَ خُطايَ إلى الدَّغلِ فسرتُ بلا ساقَينِ،
التفتَ إليّ وصاحَ: افرَحْ إني لا أُحْبِبُ إلا الفَرْحانَ.
أخذتُ السيدةَ الفرحانةَ عاريةً إلا من كفيّ،
وهرولتُ كمُلْتَبِسٍ بين طوائفِ أصحابِ الحِرْفةِ والنَوّالينَ،
وكان الطَوّافونَ الصُّغَراءُ يقومون من الإغفاءةِ،
يُلقُون على الرأسِ نشيدَ الفرحينَ،
وفانوساً ممسوساً بوساوسِ لغةِ المخطوفين
إلى النزفِ الحُرِّ بقلبَيْنِ انعتقا من نورانياتهما
ليصيرا بشريينِ.
فرُفعتْ مائدةٌ:
الرجلُ استخلص خاتمتي من أوصافي،

فأطالِ على عُنُقي قبضَته الوانيةَ

وزَعَقَ: تَشَبّثْ في «موقفٍ بحرٍ»،

فتَلَوْتُ على سيدةٍ من روح النعناعِ النّص الذاتيّ:

«أوقفني في بحرٍ ولم يُسَمّه،

وقال لي: لا أُسَمّيه لأنكَ لي، لا له،

وإذا عَرّفتُكَ سوايَ فأنتَ أجهلُ الجاهلين،

والكونُ كلّه سواي،

فما دعا إليّ لا إليه فهو مني،

فإن أحببته عَذّبتُكَ ولم أقبلْ ما تجيء به

وليس لي منكَ بُدٌّ.

وحاجتي كلُّها عندَكَ،

فاطلبْ مني الخبزَ والقميصَ فإني أفرحُ،

وجالِسْني أسُرّكَ، ولا يَسركَ غيري،

وإذا جئتَني بهذا كلّه وقلتُ لكَ إنه صحيحٌ،

فلا أنا منكَ، ولا أنتَ مني».

يونيو ١٩٨٧

المَلمُوسُ بِسَيِّدَةٍ

لَوّثتُ الأبيضَ بدَمِ القلبِ،
انحرفَ سِراطٌ بي وأنا في غاشيةِ الفرحِ أهرولُ،
فترنحتُ وخُنتُ الديباجةَ ومواثيقي.
كانت عيناها أحزَنَ من خبرِتها بالعُلماءِ،
وحَضرتُها أثقلَ من حُسّباني،
فتفصد في المائدة الشّريانُ المستيقظُ.
قصرُ النيلِ استوحش،
بعضُ المارةِ عبروا في المفترقات ثنائيّينَ،
الفندقُ خُلوٌ من نزلاءِ حزيرانَ،
وظلَّ فَتَايَ العُريانِ انزلق إلى السنواتِ المخطوفةِ،
يُحصي الثوراتِ المغدورات:
فريداً،
فَرْدَانياً،
منفرداً.

يدُ طفل تمتدُّ لتكسرَ أرجوحتَه الحلوةَ،
وفَتَايَ المُتَقنِّعُ منكمشٌ كبداياتِ اللوبانِ،
ومسنودٌ لهواءِ اللّه،
ومفتضَحٌ مثلَ حقيقيّينَ.
ارتعشتْ سيدةٌ وحَكَتْ أن أخاها البحرُ،
وأن هوامسه اللامسة سبتها في ليلٍ فرديّ،
فغفتْ دهراً فوق جزائره الصخرية:
واحدةً
متوَحدةً،
وحدانيّتها سُبُلٌ للأفئدةِ وقَصْدٌ للمشّائينَ.
تأملتِ الفاصلَ بينَ الغَرَقِ الوَحْدانّي وبين العيشِ الوَحْدانيّ،
وراحت تصنعُ من نَزْفِ يديها مزْولةً.

هل شَرَخَتْ كَفّي قارورةَ فرحٍ مضغوطٍ؟
هذا صَبٌّ بَرَعَ على الحزنِ،
فما واءمت البهجاتُ البغّاتةُ حِرفته المفطورةَ،

فارتدّ إلى الطبعِ الشجوانِ كمثلِ القنفذ:
قال: «أحبك» لحظة كان الكونُ يغادر موقعه
منخلعا كنبيّ.
ردتْ سيدةٌ تصحو من سهوٍ مثقلةً:
بَحْرِي للغَرْقى والملتاثينَ،
سريري للنيزك والبدنِ الأفريقيّ،
عطاياي لَعزّافٍ لا نَزّافٍ.

هذا الدَمُ خَطّاءٌ يسبقُ صاحبهَ للهاويةِ،
انتبهتْ سيدةٌ للبقعاتِ، فسألتْ:
هل أبتاعُ قرنفلةً تشبكها في عُروةِ سنواتٍ ذاهبةٍ؟
ميدانُ سليمانَ عَدُوٌّ
لكن مناخَ الغرفةِ مَسّ مناخَ تنفسِها الوقتيّ،
وكان النزّافُ يتمتم في صومعةٍ:

حول خُطاها المأوى والإلهامُ،
وفي خِنصرِها المنحولِ ثلاثٌ وثلاثونَ مُعذَّبةً.

ينحرفُ سراطٌ بي،
خيطٌ مُسْوَدٌّ يسري في الأبيضِ متغوماً،
يزحفُ من عطبرةَ إلى الريدانيةِ:
أملسَ كالهجرانِ،
ومُحتكًّا بمشيماتٍ.
كانت عيناها أصغر من حنكتها بقدامى الجَدَليينَ،
وحضرتُها أنعمَ من معتقدات الكتَبَة،
وفتايَ على حالتهِ يشهدُ في دقّتها فوق البابِ
قياماتٍ للمَنْسيّينَ،
ويرمقُ عند تلفُّتِها ملكاتِ النحلِ.
أراقت بين الساقينِ الماءَ وقالت:
خُذْ قطَعاً من قمصاني،
واعبُرْ للساحلِ فَوّاحاً كالبُنْدُق،

ميسوراً مثلَ القارّةِ تنهضُ من نومٍ،
ومَجازياً كالأنثى.

هل شَرَختْ كَفّي قارورةَ فَرَحٍ مضغوطٍ؟
جَرَفَ السيلُ السدَّ الرخوَ بنهرِ الروادِ
الحلاّلينَ المحلُولينَ،
فقلتُ: الجيلُ الطالعُ منتبهٌ للطاعونِ،
فهل سنعيدُ البهجةَ للمبهوجَيْنِ؟
انتصبتْ سيدةٌ لا تُحصي الثوراتِ المغدوراتِ،
لتدفعَ طفلاً للفأس وللسُّقيا:
احصُدْ قمحي،
واصنعْ لي من فيضِ سنابلِهِ العُقدَ،
وأرغفةً لبناةِ الحجراتِ،
وأخْيِلَةً للبَدّاعِينَ.
ضُحَى هذا اليوم ضُحىً أصليٌّ
فالسيدةُ هنا الآنَ ببيتِ البيارّاتِ تُراجعُ قصّتَها الراهنةَ،

وَرُسْغَاها استندا فوقَ كتابيّ الشِّعريين،

تداريتُ وراءَ النّحوِ،

وركّبتُ لها الجُملةَ عَفْوِياً:

«الرجلُ الفرحانُ يحبُّ السيدةَ الموهومةَ»

وطفقتُ ألوكُ الإعرابَ التفصيليّ:

الرجلُ: مبتدأٌ مرفوعٌ بالضّمةِ، والضمةُ ظاهرةٌ،

فنقولُ: الرجلُ

الفرحانُ: صفةٌ للمبتدأ، وتتبع وضعَ الموصوفِ، فتُرفعُ بالضمة،

والضمةُ ظاهرةٌ،

فنقولُ: الفرحانُ،

يحبُّ: فعلُ مضارعةٍ مرفوعٌ بالضمة ظاهرةً

ومُشَدّدةً، فنقول: يحبُّ،

السيدةَ: مفعولٌ منصوبٌ بالفتحةِ، والفتحةُ ظاهرةٌ،

فنقولُ: السيدةَ.

الموهومةَ: صفةٌ للسيدةِ، وتتبع وضع الموصوفِ،

فتُنصبُ بالفتحةِ ظاهرةً، فنقول: الموهومةَ،

والكلماتُ «يحبُّ/ السيدةَ/ الموهومةَ»
واقعةٌ بمثابةِ خبرٍ للمبتدأ «الرجلُ الفرحانُ»،
والجملةُ كاملةً ومُشَكَّلةً:
«الرجلُ الفرحانُ يحبُّ السيدةَ الموهومةَ».

هل فضحَ النحوُ القلبَ؟
هل التقطتْ سيدةٌ خدعاتِ العاشقِ أو توريةَ اللغويّ؟
اللغويّ الرامي جملتَه لحظةَ كانَ الكونُ يغادرُ موقعَهُ:
محقوناً بدمٍ خطّاءٍ،
محمولاً بُثَرَيّا.

للمنزلِ أغصانٌ ممدوداتٌ فوق الناجينَ،
ولكنّ فؤادي مُختَطَفٌ في رقصاتِ التحطيبِ،
فلا تعبثْ بالسمكِ التائهِ في نَزْفي،
وافردْ شالَكَ مُبيضّاً يستر جسدي المخموشَ كأرنبةٍ،
يا عازفُ أنصفني من تِقنيةِ النُقّادِ الملتزمينَ ،
وكن لي موجدةً.

دمعُ الدامعة تَدَحْرجَ في المركبةِ المكتظّة،
لكني كنتُ تدحرجتُ إلى مُنحَدَرِي قبل اليومِ السادسِ،
وتَخَطّيتُ طباشيرَ المتوحّدة،
لتخفقَ أوبئةٌ صغرى فوق رءوسِ السَيّارِينَ،
وكان صدى روحي في القيعان يردد:
عابرةٌ: سُكناها أجنحةُ البجعاتِ
وحِكمتُها السيَرُ الشعبيةُ والشعراءُ الجوّالونَ
وحِرفتُها الوردةُ.
عابرةٌ: مَهْواها المُدْيَةُ بين الحاءِ وبين الباءِ
ومَحْيَاها البَدَدَانُ على شَفَةٍ.

تمضي سيدةٌ ملهَمةٌ كالوعلِ جنوباً،
أحكمتِ الشّال على الخاصرةِ الضامرة،
أَقلّتْها عند الميدانِ العَرَبةُ: سوداءُ ببيضاءَ،
أصابعُها المعروقةُ بهجيرِ حزيرانَ تلوّحُ
بوداعاتٍ واهنةٍ،

وفتًى قال «أحبُّك» خاطفةً كالمسِّ،
وبين الوجهَيْنِ هواءٌ يتدغدغُ ويزولُ.

الليلةَ عيناها أقصى من سنبلةٍ في النحرِ،
وحضرتُها أَخْفَفُ من مدلولِ الخَفَقانِ،
وأصفى من مُعجِزةٍ.

كان دَمٌ خَطّاءٌ يسبقني،
وأنا أتيقنُ أني لوّثتُ الأبيضَ برذاذِ دَمِ القلبِ،
وقصرُ النيلِ استوحشَ.
بعضُ المارةِ عبروا في المفترقاتِ ثُنائيينَ،
فأنحدُر على الطُّرقاتِ: صغيراً كالفرحةِ،
ووحيداً كالكاكاو المحروقِ،
أحدُّثُ في الخطو فتايَ المفضوحَ:
أنا الملموسُ بسيدةٍ.

يوليو ١٩٨٧

خَمسُ دقائق

خمسُ دقائقَ من صمتٍ مغموسٍ في سكّينٍ،
أغنيةُ «الملموسِ بسيدةٍ» حَطّتْ فوق الرأسينِ
طيوراً فضّاحات،
فانكشفتْ أقنعةٌ محبوكاتٌ وتَعرّتْ عَوراتُ حكيمي
قلتُ: سندلفُ يوماً للبحرِ،
ونغرقُ في فكرتِه الآسرةِ وحيدَينِ،
فقالت: كلٌّ مغامرةٍ غامرةٍ بالهَوَسِ الظمآنِ
ستزويني
فاخترْ لي سُكْنى في قَوقَعةٍ.

خمسُ دقائقَ من صمتٍ مغموسٍ في سِكّينٍ،
وضعتْ أفئدةٌ بشفا جُرفٍ نَدّاهِ وانحبستْ أجوبةٌ:
هذي سيدةٌ متماثلةٌ مع لوثاتي والناياتِ،
وهذا رجلٌ يخلق لخُطاهُ الضّليلةِ بئراً.

قالت: سأواصلُ تصفيةَ الكونِ على المِعْصَمِ:

أبني أربعة حوائطَ برَميمي،
وأصَنّفُ نفسي في المعتزلة،
وأُسَمّي بائي رائدةَ المزْدَوَجينَ،
فجهّزْ ضِلعَيْن لرَحْلٍ
واجعلْ ساريةً بمحاذاةِ شئوني.

. . . . . .

خمسُ دقائقَ متمهلةٌ دائسةٌ في عشب الأبدانِ،
الخالقُ بئراً يسألُ سيدةً ماثلةً في حَضرةِ موجٍ يتأزَّمُ:
كيف سيمضي تموّزُ الواطئُ بي؟
هذي المنضدةُ ائتنستْ بأصابعِها المغسولةِ،
وهي تشيلُ القدحَيْنِ المتروكَيْنِ لنصنع قهوتَنا المُرّةَ،
قلتُ: القصُّ الأدبيُّ موازينُ مُشَعّرةٌ ومَقَاصِلُ،
لكن عيونَكِ مرحمةٌ،
وعلى الرأسينِ طيورٌ تتَلَصّصُ.

صمتٌ قَوّالٌ،
وحماماتٌ حائمةٌ تترنّحُ بين الكَفيْنِ على مائدةٍ،
وتماثيلُ الروحِ تُحرّكُ أذرعةً نابضةً
وتُجرّبُ خفقَ النطفاتِ.
سطور «الملموسِ بسيدةٍ» ساخنةٌ قُربَ الصمتَيْنِ،
وهاتانِ العينانِ الملهمَتانِ مُضبَبّتانِ برائحةِ المحنةِ والمشرطِ،
ومُسَيَّرتَانِ بحادثةٍ.

سيدةٌ متوائمةٌ مع صدعِ الكونِ،
تجزُّ الوردةَ بين عصافيرِ يديها العاطيتَيْنِ
وأفقِ يديّ،
تنامُ على الشّفْراتِ مغيَّبة وتقول:
أنا المشطورةُ بين كَمَانَيْنِ:
كَمَانِ الخَلاّقِينَ قرنفلةً من وَجَعٍ،
وكَمَانِ الخنّاقِينَ إضائيين وسنواتي.

كان ثلاثاءُ الهاويةِ طويلاً،
والشالُ على كتف الوامقِ ليلةَ عرسٍ
وعلى بطنِ المختالةِ أزمنةً،
حَرّفتُ المغزى وهمستُ:
سأقرأ لكِ شعراً وأضمكِ في صدري.
تومئُ سيدةٌ بالبسمةِ أعلى من قنديلٍ سهرانَ،
فيهتف ممسوسٌ:
كأني كائنةٌ تحتَ زَفيرِكِ كالشّصِّ،
وأنتِ موازيةٌ للأفعالِ الخمسةِ،
ومُهَرَّبةٌ.

خمسُ دقائقَ مُومِئةٌ بحقولِ دلالاتٍ،
في إيماءتها أبنوسٌ يَتجدد في غَسَقِ المُحتاجينَ،
استرجعَ صَبٌّ سنواتِ جنون الأورمانِ،
وملأ فضاءَ الرّبِّ بمجدِ السقطاتِ العُليا،
لكنَّ خمسُ دقائقَ من صمتٍ مغموسٍ في سِكّينٍ
كشفتْ عوراتِ حكيمي.

هذي العابرةُ الصاحيةُ من الوحي:
طريقتُها مَزْجُ الفضّةِ في الأسماءِ،
وآيتُها القلبُ المنقسمُ،
وفي العينينِ الوطأةُ.

خمسُ دقائقَ من صمتٍ ينغلُ،
قهرتْ أروقةً وحوانيتَ وأقنعةً ووقائعَ،
كسَرَتْ إرثَ العُمّاليّينَ،
فعرَّتْ عوراتِ حكيمي وتَجَمُّلَ سيدةٍ متماسكةٍ
فوق الجُرفِ.

هنا شريانٌ خَشِنٌ يخدِشُ مرفقَها،
وفتى يَتَدلى من سَقّالاتٍ تَهوي،
الشالُ انغرسَ ببِركةِ دَمٍّ سائلةٍ بجنوبِ البَرّيْنِ،
قصائدُ تنزفُ بالعاصمة كمملوكٍ بزويلةَ،

حاءٌ حائرةٌ في الحدقاتِ،
وسيدةٌ من روحِ النعناعِ تغيبُ.

ثلاثاءُ الهاويةِ تَدَبَّبَ كالنّصلِ،
ولكنْ خمسُ دقائقَ من صمتٍ مسكونٍ
بعد رصاصةِ نصٍّ «الملموسِ بسيدةٍ»
كانت عُمراً حقّانياً:
للملموسِ بسيدةٍ
ولسيدةٍ
لم تكُ يوماً عابرةً.

تمّوزُ سيمرقُ كالسّيخِ المتوهجِ في الرئةِ،
وبجماليون في منتصفِ الشهرِ يموت.

يوليو ١٩٨٧

رجلٌ حاضرٍ وامرأة مُحتَضِرَة

بدايتُها مُعَذّبةٌ، وآخرُ أفقها جَمرُ

رَمَتْ لي بعضَ نرجسةٍ، فكان الملحُ والمُرُّ

هي الأوصافُ في صفةٍ، وأمرُ حنينِها أمرُ

كأن الروحَ في أقداحِها قَطْرُ.

هنا امرأةٌ محنّكةٌ تجيدُ الموتَ من إغماضةٍ

رفّتْ على سِربٍ من الطيرِ الضليلِ، على

يديها آيةٌ من مستحيلٍ يمتطي فَرَساً.

مُدَرّبةٌ على النزفِ الطويلِ بآخرِ الليل،

انتقتْ في صمتِها الشقَّ المقدس من زجاجِ

الروح، قلتُ: أكونُ أقربَ من أصابعكِ

النحيلةِ لاستغاثتكِ، استقري، ثم كوني

أقربَ الوخزات من عمرٍ أرادَك نخلةً في

الضلع يرمقُها المحبونَ ابتهالاً بالمحبّينَ.

المسافةُ بين خاطرتي ومبتدأ الطريقِ
عريضةٌ، لكنّ مصرَعك المُنَغَّمَ في بواكيرِ
الحريقِ خديعةٌ مفضوحةٌ للخَلقِ، خبرتُها
مُصَنّعةٌ وراءَ دَم القتيل، فراحَ يجثُو:

بشائرُ هذه القمصانِ نارُ
ورِعشةُ عينِها الظمأى مَدارُ
فخلِّ الروحَ يقظى أيها الوعلُ المُثارُ -
وراءَ التلّ حُلْكاتٌ تُثارُ

ثلاثينيةٌ حَطّتْ على خطوي ملامحَها وتاهت
في فِجاجِ الأرضِ، تمضي في معابرها
على خوفٍ وإقدام، لتدخلَ في الصبابة
بالصبَا، وتريقُ عِنّاباً على مدنٍ مؤججةٍ
بخيمةِ قلبي المشدودِ للتَرحالِ. يا قيسُ بن
دمعي دُرْ على كعبيكَ دورتَك الشريدةَ،

واخلعِ الأوتادَ عن هذا الخباءِ، وخُذْ صِبَايَ
على صِبَاكَ وطِرْ إلى البلدِ المجاورِ،
وانتظرْ موتاً جميلاً مثلَ موتي، كن بأولِ
بلبلٍ يشدو:

تهْ دلالاً فأنتَ أهلٌ لذاكا
وتحكّمْ، فالحُسنُ قد أعطاكا
لكَ في الحيِّ هالكٌ بكَ حيٌّ
في سبيل الهوى استلذّ الهَلاَكا
عبدُ رقٍ، مارَقّ يوماً لعَتْقٍ
لو تَخَلّيتَ عنه ما خَلاكا
كلُّ مَنْ في حِماكَ يهواكَ لكنْ
أنا وحدي بِكلّ مَنْ في حِماكا
يُحشَرُ العاشقونَ تحت لِوائي
وجميعُ المِلاحِ تحتَ لِواكا

فتىً يعدو على سنواتِهِ ويُقلّبُ الأفقَ
القريبَ: يرى أمامَ العمرِ أزمنةً تموت على
اليدينِ، فيحسبُ اللفتاتِ داراً وابتداراً
للرجاءاتِ الضنينةِ وهي تحبو في عروقِ
اثنينِ. يعلمُ أن هذا الأفقَ مختومٌ بأقفالٍ
من الأسرى وعُبّادِ الجَنَازاتِ.
التماعاتٌ خفيفاتٌ بهذا الشرق موغلةٌ بدغلِ
القلبِ، والقلبُ المَشطّرُ بين جمرٍ والغروبِ
يلمُّ حافظةً لمأساةٍ مُصَغّرةٍ بحجمِ غزالةٍ
ركضتْ على عشبٍ من الأوجاعِ عشراً
واثنتينِ من السنينِ الخادعاتِ دُجًى، وعند
تَفتّحِ الصبحِ انجلى أمرُ انشقاقِ الروحِ من
كمدٍ تخفّى في ابتساماتٍ مُزَيّنةٍ بأقراطٍ
مُزَيّفةٍ ورَفٌّ من عقائدَ محكماتِ الصنعِ.
تبدأُ نخلةٌ في القاعِ ولولةً مهندَمةً على
حلمٍ تبدّى لحظةً وانزاحَ، عَرّى حصةً

بالقلبِ مغلَقةً على الذكرى السحيقة. كيفَ
للتاريخ أن ينزو بروحي دونَ أن أنحلَّ
أرقاماً:
ثلاثُ إيماءاتٍ مباركة.
قصائدُ خَمّسٌ من رئةٍ.
اثنا عشرَ انهياراً.
ستٌّ وثلاثونَ في ثلاثٍ وثلاثين.
أربعةُ أجنّةٍ في خَلاءٍ مَعْدِنيّ.
مائةُ عامٍ من العُزْلة.

هي امرأةٌ وصَقْرٌ، في مخالبِها تشيلُ
على الدجى أكبادَ عشاقٍ كثيرينَ، الأسى
مشوارُها اليوميُّ، تهمسُ: خلفَ نرجستي
وباءاتٌ فلا تَقْرَبْ وباءاتي. ثلاثينيةٌ: ذا
طَيلسَانٌ من مرارات، شحوبٌ يستضيءُ
بذاتِه فينيرُ جثتَه الجميلةَ. عازفٌ كسَرَ

الربابةَ كي يسيرَ على الشرايينِ. انسجامٌ
بالتنافرِ والتذاذٌ بالشروخِ. سنابلُ ارتحلتْ
تهاجرُ من حقولِ القمحِ للصفقاتِ. مَن
سيخطُّ في الطوفانِ موعظةً، ويمحو رايةً
لفتى يقول على الليالي:
سأوهمُ نَفْسي أنني كنتُ أوهمُ نفسي،
وأن شِعري دليلٌ خائبٌ على ذاتي،
وأن قصائدي الخمسَ اصطناعُ شاعرٍ
مُدَرّبٍ على خلقِ المشاعر والأكوان.
كيف يمكنني الخلاص من جنونِ الباءِ
والهاءِ والجيم،
ومن هذه السنابكِ المستبدةِ بي؟
هل من سبيلٍ سوى أن أوهِم نفسي أنني
كنتُ أوهمُ نفسي؟

رفيقي يخدشُ الذكرى. الأصابعُ مُشْرَعاتٌ
نحو رجفةِ نيزكٍ يهوي على ماءٍ. يقولُ:

الجيمُ من جوعٍ وموجوعٍ وعمرٍ من هشيمِ
العمرِ مسجوعٍ. ويُطْرقُ. يستفيقُ هنيهةً
ويصيحُ: ماذا لو أبدّل وجهَكَ الساجي
بساجدةٍ وماجدةٍ وهاجدةٍ. أقولُ: نسيتَ
في الجيمِ الجنونَ وخنتَ قلبي. قال:
هذي الفُلَّةُ البيضاءُ أشْبَهُ بالخليج. أقولُ:
تشبه نبضتي ودماي. سيدةٌ محاصَرَةٌ
بخيلٍ من خيالاتٍ مخايلةٍ. تذيعُ: توافقُ
الأشعارِ محتملٌ ولكن التوافقَ في النداءِ
الحَرِّ من بدنٍ إلي بدنٍ عصيبٌ. مَنْ
سيحضن غِرِّيَناً ينداحُ فوق نوافذي ما زالَ
ملمسهُ الطَريُّ على يدَيّ؟ أنا. لا. أنتَ حين
أتتكَ غُزلاني مُشَرّدَةً رَكَنْتَ إلى قناعِ
الأنبياء، فكنْ نبياً لا عشيقاً، إنني
أختارُ صَدّعي. كيف للتاريخ أن ينزو
بروحي دون أن أَنْحلّ أمكنةً:

الكوزمو - إنديانا - زهرةُ البستان-
الأهالي - هيئةُ الكتابِ - الهرم -
٣ شارع حسين رشاد - عين شمس - عبد الخالق ثروت.

مُبَاغتةٌ حروفُ الأبجديةِ للمسافرِ، كان
يمشي خلفَ وَهْوَهَةِ القصائدِ، يَسْتدِلُّ من
الشّجى الشّعريّ أن فؤادَه الملموسَ ملموسٌ،
يقولُ لنفسهِ: الشّعرُ افتضاحُ العاشقينَ،
يخطُّ في جلبابهِ: أهوى - هويتُ - هَوًى،
يَخُطُّ الريحُ فوقَ الرملِ: صَدّ - يَصُدُّ -
صَدّاً. كان نايٌّ خلفَ هاجرةٍ يسيلُ:
مجازُه أرداه في شفقٍ، وجَرّتْه القوافي
نحو مقتلهِ البديعِ، فراحَ يتلو:

ويحَ القوافي ما لَهَا سَفْسَفَتْ
حَظّي، كأني كنتُ سَفسَفْتُها.

ألم تكن هُوجاً، فَسدّدْتُها

ألم تكن عُوجاً، فثقّفتُها؟

كم كلماتٍ حُكتُ أبرادَها

وسّطتُها الحُسَنَ، وطَرّفتُها

أنحتُ على حَظّي بمِبْرَاتها

شُكراً، لأني كنتُ أرهَفْتُها

تَعَسّفَتْني أن رَأَتْني امرأً

لم تَرَني، قطٌّ، تَعَسّفتُها

.

يَظَلُّ النايُ مشدُوداً إلى زمنٍ يجيءُ. وهذه

امرأةُ المشاويرِ المؤَجّلةِ: الأراجيحِ،

الجزيرةِ وسطَ موجٍ والمدى بدنانٍ، سَلِ

الجسم من أوضارٍ نورٍ غاشمٍ، قذفِ

الأسى بحجارةٍ من مُزْهراتِ الروحِ. كيفَ

لعازِفٍ أن يستقيمَ بجنبِ عينيها ومخدعِها

الذي لم تورِق الأحلامُ فيهِ لغيرِ أغنيةٍ بلا

نبضِ المغنينِ؟ المغَني كان يدركُ أن غنوتَه
مغامرةٌ، فيصرخُ:
ليس لي وطنٌ سِوَايْ
أنا المُضَلّلُ باليقينِ أنا المُوَطّنُ في دِمَايْ
كأن الصبحَ طعناتٌ بلا جسدٍ طعينٍ،
أو كأن الشرخَ يمشي في خُطايْ.

ثلاثينيةٌ داست على فَصّينِ من ألَقٍ، تُكَبِّلُ
في انتباهتِها الفؤادَ وتوقظُ المزلاجَ،
تُطلقُ طيرَها في الحلم، تحكي: شُفتُ
ورداً حَكَّ في رئتيّ، والغَجَريّ كان
بقرب نبعِ الماءِ يخطفني ويهمسُ فيَّ:
كوني لِصْقَ قلبي كي أدومَ على بلادي،
واسمعي عَزْفي: لكِ الشجرُ الظليلُ وفوقَه
ريحٌ وتحتَ الريح ريحٌ، فاشربي مائي.
خلعتُ الثوبَ للغجريّ، ثم صحوتُ من

نومي. أنا امرأةٌ مقامرةٌ بأعماري، ترى
سنواتها مَجْلُوّةً في المبضعِ المسنونِ،
مُغْرَمةً بغيبوباتِ حَقْنٍ مَوْضعيٌّ في
المصحّاتِ البعيدة: أستريحُ من اللهاث
الحيّ، أغدو طينةً بيضاءَ طائرةً، أكيلُ
حقائقي بنُصوعِ وَشْكِ الموتِ أو وَشْكِ
الغرامِ، أرى المسافةَ بين ما يجري جوارَ
الروحِ من سُبُلٍ وما يجري وراءَ زجاجِ
مستشفايَ شاسعةً، فخُذْ غَيْبُوبتي
لقصيدكَ الآتي مثيراً عاطفياً. هذه امرأةٌ
مُسَلّحةٌ بكَسْرٍ في الحَنَايا، تستغيثُ من
انفجارِ الحُسنِ في الدنيا بنبشِ مخازنِ
الحزنِ المُكَوّمِ في ظلامِ الروحِ، ثم تجيؤني
كي أفصلَ الإيقاعَ في سَقْطاتِها عن رَنّةٍ
تصفُ ابتداءَ مسيرِ جثماني إلى نَفْسي،
تقولُ: انزعْ جنيني عن دمي الفَسْدانِ،

واخلعْني من الإرث المقدّسِ، وابتكرْ لي

حُجرةً في المُشْتَرَى، وامنعْ حفيفَ ضِياكَ

عني. كيف لا ينحلُّ تاريخٌ من اللوعاتِ

أزمنةً:

مايو مهاجِمُ الفؤادِ،

حزيرانُ الذي أشعلَ الطُّرقاتِ بخطوتي الحائرة،

منتصِفُ الشهرِ الذي مات فيه بجماليون،

عيدُ الميلادِ يَقْلِبُ الزغاريدَ حشرجةً،

تمّوزُ الذي انقضى لتبقى على الصدرِ منه دَهْشَةٌ،

صيفٌ آخرُ لي ذو وطأةٍ أُخرى عليّ،

تسعونَ ظهيرةً.

أغسطسُ غائرٌ في اللحم يَهبطُ مُثقلاً

بالميّتينَ، وهذه امرأةٌ ستُزْهِرُ في محَفّتِها

الأصائلُ وهي تنقلُ موتَها من شُرفةٍ

لَمحارةٍ، تغفو على قلبي وتقطعه

بمشرطِها المفضّض. هل أُسَمّيها الطقوسَ
أم اختيارات مؤقتَةً؟ هل الشِّعرُ الجنونُ
أم الجنونُ الشِّعرُ؟ في أوراقها السِّرّيةِ
الحِرزُ الذي أخفتْه عن بَعْلٍ يطيلُ قراءةَ
الأنقاضِ تحت مخدّةٍ ظلت بها بقعٌ من الدّمِّ
المجفّفِ والوثائقِ. قالت: الحرمانُ كارثةٌ،
ولكني أريدُكَ ربَّ روحي لا عشيقاً
خاطفاً في ليلةٍ مخطوفةٍ. هذا أغسطسُ
طافحٌ بالأغنياتِ وتلكَ مَوْقِعتي الأخيرةُ،
كيفَ أفصل بينَ ربٍّ والعشيقِ على كُرَيّاتِ
الدماءِ؟ هنا المقامرةُ الثلاثينيةُ اتخذتْ
تَهَشُّمَها خليلاً زائراً في كلّ جوعٍ:
صمتُها الصّافي قناعٌ للكلامِ، وضحكُها
العَصَبيُّ أقنعةُ البكاءِ، ونارُها الحَرّى
قناعٌ للرمادِ، مَسيرُها مُتَقَنّعٌ بتَوقّفٍ
وحُطامُها الهاوي قناعٌ للتماسكِ، موتُها

المتدُّ أقنعةٌ لموتٍ طارئ، وقناعُها
البادي قناعٌ للقِناعِ. فكيف أفصلُ في
دمي بين المؤلَّهِ والعشيقِ؟ وذي مؤنّثةٌ
تداري وردَها عن هجمةِ الشعراء. ميراثُ
الصبايا مثقَلٌ بالرعبِ. لا تأخذْ خُطايَ إلى
شعائرِكَ، انتظرني عند كَسْرِ القلبِ: قد
ينساقُ عُمري للبحيرةِ، قد أُغافلُ
حَارسيَّ - شبابيَ المغلولَ والتّركاتِ -
في ليلٍ بدائيٍّ وأرمي عند نَايكَ نَاهديّ
كما اقترحتَ عليّ في مايو الحزينِ. ارقبْ
جروحي ضمنَ جيمِكُمُ الوسيعةِ: قد أصيرُ
بهيجةً، وأجيءُ في عاجي وأبراجي

بهيجةً، انتظرني عند كَسْرِ القلبِ يا ربّي
العشيقْ.

قدّمتُ لها قلوبي: حسن طلب، جمال
القصاص، ماجد يوسف، أمجد ريان،
وليد منير، عمر چهان، محمود نسيم.
وقلتُ: اسكني في كل قلبٍ عمراً،
وسِيري على كلّ قلبٍ دهراً،
وفي آخر السكنى والمَسَيرِ، سوف تَرَيْنَ
قُبّرةً تَلُمُّ قَشّ العُشّ.
ابتسمتْ، وأعطتْ فؤادَها للصحراءِ،
واختارت الرجالَ الجوفَ والجروح.

عرضتُ عليها ثرواتي: عادل السيوي،

عبد المنعم تليمة، ماجدة الطهطاوي،

إدوار الخراط، مراد منير، محمد هشام،

أحمد بهاء.

وقلت: أنفقي من كل ثروة ماستَيْن،

واحفظي من كل ثروةٍ ماستَين،

وفي آخرِ الإنفاقِ والحِفظِ سوف

تلمحينني عند النبعِ: فقيراً، وهادئاً.

فابتسمتْ، وواصلتْ قراءةَ «التفكُّكِ» للجَزائري.

وراحت ترقبُ الكُثبان.

تنازلتُ لها عن غصوني: سيف الرحبي،

عمر سَعَادة، قاسم حداد، سعاد الدجاني،

محمد الشامي، حسين البدري، هاشم شفيق.

وقلتُ: استظلي بكلّ غصنٍ في سَفْرةٍ،

وكُلِي من ثمارِ كلّ غصنٍ في رَمادةٍ،

وفي آخرِ الأسفارِ والشّبَعِ، سوف

تلتقينَ وجَهكِ ووجهي:

واقفَيْنَ في الرمضاءِ جائعَيْن.

فأطرَقتْ إلى نزيفها الداخليّ، وأغلقتْ

على الفضاءِ شُرفةً،

ثم أفلتتْ حَبْلها لتَهوي إلى بئرها

السحيق،

تاركةً على حافته العُقدَ الذي باعتْه ليلةَ

الجنين.

وبطيئاً كان صوتٌ من القاعِ يصعدُ:

انتظرني عند كَسْرِ القلبِ يا عشيقي.
وصوتٌ إلى القاعِ يَهبِطُ:

نهايتُها مُعَذّبةٌ، وأولُ أفقِها جمرُ
رمتْ لي بعضَ نرجسةٍ، فكانَ الملحُ والمرُّ
هي الأوصافُ في صِفَةٍ، وفوقَ سريرها
قَبْرُ
كأن العمرَ في أوجاعِها عمرُ.

أغسطس ١٩٨٧

نزيفُ الحاءِ والباء

شاحبةٌ تتهاوى بموازاةِ الوجدِ،
وتوغلُ في تزيينِ الرّمْسِ بِأكبادِ الوَجّادِينَ،
مشيئتُها كمثرى فاسدةٌ،
وأناملُها أشباحٌ تتخَطى حَدّ المخلوقاتِ
لتصنعَ شهوتَها المنهارةَ في أعضائي.
جُنّ جنونُ العَشّاقِينَ،
تضيقُ قطاعاتُ الأفئدةِ الطوليةُ كي تغرقَ في
تجسيمِ الوحدةِ بين فراغَيْنِ حزينَيْنِ،
هتفتُ: المرأةُ بهوُ الدنيا،
والرجلُ قريبٌ من رُكْبَتِها الرّشاحةِ بدماءِ
الموهومينَ.
خُذُوها وخُذُوني،
جُنّ جنونُ العَشّاقينَ:

لماذا كتبتْ سيدةٌ ناحلةٌ أقصوصَتَها عن سيدةٍ
ناحلةٍ تُعطي نهديها الحُرّينِ لنافذةٍ؟
وأنا اسمي نافذةٌ
لا ذاكرةٌ لي، وعيوني ليس لها إنسانٌ،
لكنَّ وقائعَ موقِعتي صاحيةٌ بدمِي الهربانِ،
فأَحْكِمْ غَلْقَ الأحرفِ يا نويتجيُّ وعَقِّمْ
خاطرتي دَرْءاً لشوائبِ روحي.

كان الجلوكوزُ ثقيلاً فوق التَاجيِّ،
فمدتْ فوق البحرِ ذراعَيْنِ مجففتَيْنِ، وقالت:
هذا نصفُ العام وعامٌ منذ خطفتُكَ بشُحوبي
تاركةً بدني طَلّاقاً في ريحِ الشرقِ كإبداعِ
المحرومينَ،
فحرِّرْ من قوسِ مرارتِكَ خَلاَيايَ.
خذوها وخذوني
لا جُنَّ جُنونُ المعشوقِينَ،

أنا اسمي نافذةٌ
فلماذا خَطَّتْ سيدةٌ واهمةٌ شالَ السيدةِ
الواهمةِ على خَصري؟
وأباحتْ لي سنبلةٌ من حَرْفينِ اخترقا ردهاتِ
المستشفى الخيريِّ وراحا يختصمانِ:

الحاءُ تقولُ: أنا الحريةُ، والحُلمُ،
الحِلمُ، حنينُ الحنّانينَ، حياةٌ، والحُسنُ،
الحَبَلُ، حبورُ حبيبٍ بحبيبٍ، حَزْمٌ،
والحِكمةُ، والحُكمُ، حماساتُ حُمَاةِ
حِمًى، والحزنُ، الحِرمانُ، حصاناتُ
الحَيْرى، وحنانُ حنونينَ، وحبٌّ.

والباءُ تقولُ: أنا البَدَنُ، البحرُ، بكارةُ
بَهكَنةٍ بكْرٍ، والبَيْنُ، البَدَدَانُ، براءةُ
بَرّاءينَ، البَدْعُ، بداياتُ البوحِ،
البشريّةُ، بُردةُ بَرْدانَ، بَهاءٌ، بُستانُ

البستانيّ، البنتُ، وبسمةُ بَكّائينَ
ببُشرى باسمةٍ، بيعٌ، والبَتْرُ، وبُغضٌ.

هذي سنةٌ قاسيةٌ،
طيرٌ في المؤتمرِ الرابعِ للأدباءِ المصريينَ يرفُّ
على الأعينِ ويَزولُ،
فتُخفي شاحبةٌ عورَتها في ترجمةِ الملكِ
الضّليل،
وتختارُ مصائدَها بيدَيْنِ مُنَعّمَتَيْنِ،
وهذي سنةٌ قاسيةٌ فوق ذراعيّ،
أنا أعرفُ أن الحاءَ إذا هتفَتْ مُستَضعَفَةً في
الليلِ: أنا الحقُّ،
ستجأر فوقَ التلّ الباءُ مُعزّزَةً: لكني البُهتانُ.

فليس على سبتمبر إلا أن يَتَحلّلَ عبرَ ممراتِ
الفندقِ
كي يرسمَ بدمائي خاتمةً لبداياتٍ كانت حُبْلى

بنهايات كامنة من أول «هذا الجرحُ
معادلةٌ» حتى ثامِنَتي.

هذا غُفرانُ المجروحينَ،
أقولُ لطارقِ بابي وهوَ يفاجئني بمفاضحةِ
الروحِ:
«ينام خَلِيُّونَ وليسَ ينام شَجِيُّونَ»،
أنا اسمي نافذةٌ لكنّ الصيفَ يباغتني بامرأةٍ
تختصرُ اللبؤاتِ،
وتبتكرُ الحِيَلَ الفنّيةَ في إقناعِ النَظارةِ
بالطَعناتِ المدروساتِ،
العُقدةُ محكمةُ الحَبْكِ:
فهذا جمهورٌ يتوجعُ ألماً واستمتاعاً بالألمِ،
وهذا بطلٌ أسطوريٌّ
يَتَحَسّسُ كعبَ فجيعتهِ حين تهاوى بسهام
الغدّارينَ،
الإكسسوارُ جديدٌ،

والأزياءُ مطابقةٌ لمشاهدِ تدميرِ الذاتِ
فليسَ على حائي إلا أن تتقمصَ ذاكرةَ
خمَاسِينَ،
وترقبَ كيف يصيرُ الجسدُ شفيفاً كمجازِ
البُلغاءِ،
وتعلوَ فوق التلقينِ تردُّ الغَيْبةَ عني.

كان الجَوّالونَ على الطرُقاتِ يُغنّونَ:
اخطفَ سيدةً ناحلةً يا فَرْحانُ،
وخُصّ ملامحَها بشجيراتِ المنزلِ ثم اغسلْها
في حَرْفَيْنِ.
وكنتُ أصيحُ: خذوها وخذوني، ليس
الفرحانُ الفرحانَ،
حياتُك مُورقةٌ في التابوتِ،
وأنتِ مُسَلّحَةٌ بالكَسْرِ الفطريّ وراءَ الأضلاعِ
الناقصةِ،
الحرفانِ احترقا في العينينِ مُسَاجَلَةً:

قالت حاءٌ: فيِّ الحدّادونَ، الحفّاظونَ،
الحُرّاسُ، الحصّادونَ، حرافيشُ الحي،
الحَداءونَ، الحَاكَةُ، حُمّالُ حصَادِ
الحقلِ، الحكّاءونِ، الحطابونَ، حرائرُ
حمصَ، الحَضّانونَ.
فقالت باءٌ: وأنا فيِّ البنّاءونَ،
البصّاصونَ، الباعةُ، والبَدّاعونَ،
بشارفةُ البَيْرَقدَارِ، البَصّارونَ، بهانسةُ
البَرّيْن، البدوُ، بلاغيو البصرةِ، وبناتُ
البدنِ البنّي، البربرُ، والبَوّاسُونَ.

أنا لستُ حكيماً كالينبوعِ،
وخطواتي في ميدانِ القلعةِ لم تكُ مرحمةَ
الفقهاءِ،
الزهرةُ إن تتفتح في سبتمبر خامشةٌ،

فانتشلي وردَكِ عني إني أتَشَكّك في ورديةِ
هذا الوردِ،
وأدركُ أن الحائيين يموتون على مَيْسَرةٍ.
هذا غفرانُ المجروحينَ،
تميل السيدةُ على السيدةِ: اصطبري، تلكَ
تباريحُ الأنثى،
فاعتمدي فوق المرفق لتقومي باهظةً
ومكلّفةً بالسيرِ من الشريانِ إلى الشريانِ.
الجوّالونَ يشيلونَ عن الموهومةِ أحجارَ البيتِ
المهدوم،
ويلتقطونَ من الردمِ الخاتمَ والملموسَ بسيدةٍ
وروايات مخطوطات وثعابينَ.
يَساريٌّ قالَ: الحزبُ سيمنحُ للوردةِ نسغاً
وقناديلَ،
الحزبُ هُدى الحيرانينَ.
التاجرُ قالَ: سأعطيكِ الحريةَ بثلاثةِ آلافٍ،

وسأمنحكِ الأمنَ بخمسِ رصاصات.
قال الجوّالونَ: على إيماءتها أَبنوسٌ يَتَجدّد
في غَسَقِ المحتاجينَ.
أُديرُ الآلةَ فأقولُ لصاحبِ «إشراقاتٍ»:
البحرُ بغير امرأةٍ ماءٌ في ملح في ماء،
بالأنثى يصبحُ موجاً هَيّاجاً وسياداتٍ تَتَغَلُ
في خَلْقِ شَوّاقينَ.
أقولُ لنفسي: جُنّ جنونُ العَشّاقينَ،
أنا أعرفُ أن الأنثى بحرٌ مشبوكٌ في
خاصرةٍ،
فأشرتُ إلى شيخي أن يُدْخِلَ جيمَ بهيجةَ في
نهرِ الجيميّينَ،
هنيهةَ كانت تَنْسلُّ على الليلِ إلى مخدعِ
ضُبّاطٍ مطرودينَ من النبلِ الحَرْبيّ،
وتبكي عند قراءةِ سَادِسَتي.

لا ذاكرةٌ لي، ويدايَ تديرانِ الآلةَ:
– لم يكتبْ حَبّابٌ في محبوبٍ مثلَ سطوري
فيكِ وقَوْلي:
«لأناملِ قدميها بهجةُ أبريلَ»
– أنا المنذورةُ للغاتِ الغَزِلينَ وبائي سيدةُ
النّبْراتِ.

الحَبّابونَ غَفُورُونَ،
فلا بأسَ على العشاقِ ولا بأسَ عليّ،
يقينُكِ كان عُروقَ يديّ،
وحلمُكِ كان شَجَايَ المردودَ إليّ،
تقولينَ: أنا المتّهَمةُ بمجازِكَ أنتَ المتّهَمُ
بعينيّ،
امنحْ للقنديلِ الضَيّ.
ارتاحي يا قلقانةُ ليسَ لموعظتي كَفّانِ،
وليسَ يؤجّجُ ذاكرتي إلا حرفانِ انخلقا ثم

انفلقا في صدري رئتينِ لدُودَيْنِ:

تقولُ الحاءُ: أنا من قافيتي قِيلَ بموجِدَة:

«أفي كلّ عام غُربةٌ ونزوحُ

أما للنَوَى من وَنْيَة فتَريحُ

لقد طَلَحَ البَينُ المُشِتُّ رَكَائبي

فهل أَرَيَنّ البَيْنَ وهو طَلِيحُ

وأرّقني بالرّيّ نَوحُ حمامةٍ

فنحتُ وذو البثِّ الغريبِ ينوحُ

على أنها ناحت ولم تذْرِ دمعةً

ونُحتُ وأسرابُ الدموع سُفُوحُ

وناحت وفرخاها بحيثُ تراهُما

ومن دونِ أفراخي مهَامِهُ فِيحُ»

فتقول الباءُ: ولكنّ من قافيتي قيلَ

بمذبحة:

«ما رَبْعُ مَيّةَ معموراً يطيفُ بهِ

غَيْلانُ أشهى رُبىً من رَبْعها الخَربِ

ولا الخَدودُ وقد أُدْمينَ من خَجلٍ
أشهى إلى ناظرٍ من خدّها التَربِ
سَمَاجةً غَنيَتْ منا العيونُ بها
عن كلّ حُسنٍ بدا أو مَنظَرٍ عجبِ
غادرتَ فيها بهيمَ الليلِ وهو ضُحى
يَشُلُّهُ وسَطها صبحٌ من اللّهَبِ
ضوءٌ من النارِ والظلماءُ عاكفةٌ
وظُلمةٌ من دخانٍ في ضُحًى شَحِبِ»

هذي سَنَةٌ من لحمِ الأحياءِ،
وذاكَ وداعي للموهومينَ وللموهوماتِ،
الشفقةُ أعلى من عينيكِ القوسَيْنِ فغُضّي
الترمومترَ بشفتيكِ الخَطّينِ،
الموهومُ استيقظَ بالدّم على الحاسبةِ،
وفَرْحاني طَوّح غُنّتَهُ فوقَ الأهراماتِ،
ليالي قليلاتٌ في اللوحِ،

وأثمنُ منكِ الشِعرُ، فزيدي لعَقَاقيركِ قَدَحاً
حتى تستجلي وجهَ امرأةٍ كانت عيناها أنقى
من حُنكتِها بقَدَامى الجدليّينَ.
وفي الليلِ انفكتْ خشباً يَصْنعُ منه النجارونَ
نُعوشاً وصناديقَ ملوّنةً للعُرس الشّعبيّ،
فروحي لخرابِ الروحِ مُطهّمةٌ:
فلتُغْرقكِ بقاربِها الباءُ،
وتَلتَف على عينَيكِ الناهدَتَيْنِ الهاءُ،
وتدفع جسدَكِ من قُبّتها للهاويةِ الجيمُ،
فسيري بسلامٍ،
هذا غُفرانُ المجروحينَ:
دَمُ الحاءِ على عُنقِكِ عُقْدٌ من أكبادِ المشدُوهينَ
بَمسّتك الخَطّافَة،
وصديدُ الباءِ يلطّخُ خَصْرَكِ في مرْقَدِكِ الليليّ.
ليالٍ قليلاتٌ،
ويُواتيني يومٌ تُقبِلُ في طلعته حاءٌ باءٌ

صافيةً ليسَ برائقِها جثثٌ تطفحُ في ذاكرةٍ
ليسَ ترى غيرَ نزيفَيْنِ انخرطا في الزهوِ
المنزوفِ على مَشْرَحةِ الجَرّاحينَ:
تُحَشْرِجُ حاءٌ: منّي حسنٌ طِلِبٌ،
وحَمُورابي، حِمْيَرُ، وحسينُ بنُ عليّ،
حُورسُ، وحُطَيئةُ، حُبّى، حتشبسوت.
وباءٌ تَتَحشْرجُ: لكنْ منّي بدرُ السيابُ،
بديعُ الهمذانيُّ، وبنتاءُورُ، بُثَيْنَةُ،
باحثة الباديةِ، وبلقيسُ، بلُندُ، وبُشْرَى.

جاء الرجلُ الرّمزيُّ يعلمني أن الحاء
المحتَضرةَ في مقبرةِ العَبّادينَ
ستهمسُ في مصرعِها القرويّ:
«ولكني حلمي».
والباءُ المحتضرةُ في مقبرةِ المعبودِينَ

ستهمسُ في موتٍ ملكيٍّ:

«وأنا يا حَبّابُ بهيجةٌ».

هذا غفرانُ المجروحينَ،

انتعشي هوناً في جَرعاتِ الجلوكوزِ وسيري

في الشرفة متمهّلةً،

لتُعَذّبْكِ قصائدُ صِنْوي القَصّاصِ.

وتَحرمُكِ الدّعَةَ وعودُ عيونِكِ لي

وحديثُك عن أنملتينِ تشيلانِ الكونَ وتحتَهما

جسمانِ وحيدان ولغةٌ متَوَحّدَةٌ،

وتُخايَلك كأشباحِ القتلى قافيةُ الحَلاجِ

الشّينيّةُ في ثَالثتي،

فَذَريني أحفرُ في لحمي:

يا حائيُّونَ تواصَوْا بالموسيقى،

واشتعلوا في أشجارِ المشتعلينَ.

خُذُوها وخُذُوني،

جُنّ جنونُ العَشّاقِينَ ولا جُن جُنونُ

المعشوقِينَ،

فخُبّي في الألقِ المصوصِ ورُصّي كمثرى

فاسدةً،

غَفَرَ القلبُ الخدعاتِ المنقوشاتِ بأبّهةٍ،

فابتسمي للطاعونِ،

أنا أكتبُ كالمعتوهينَ،

كمن ينطقُ آخرةً ليموتَ غداً في شارع ثروتَ،

كالمحكومينَ بتصفيةِ الذاتِ بسِكّينِ الحَرْفِ:

أنا أخرجتُكِ من جَسَدي.

سبتمبر - أكتوبر ١٩٨٨

سلام

يغفو الحيرانونَ قليلاً يغفو الحيرانونَ،
ويلتمسُ الملموسونَ الرحمةَ من أربابٍ
مصروعينَ،
وهذي عابرةٌ من روحِ النعناعِ تراقبُ في
لَمَسَتِها المِحنةَ والمشرَطَ،
وتفرُّ من الضاحيةِ إلى الطيرانِ.

على الأبوابِ صواعقُ صامتةٌ تتراءى وتذوبُ،
وأسئلةٌ تنسابُ: هل الرجلُ هو الرجلُ الفرحانُ،
هل السيدةُ هي السيدةُ الموهومةُ؟
نبلاءُ وحيدونَ يموتونَ،
سلامٌ للناجِينَ من الأخدودِ وللناجِينَ من
الليلكةِ المصعوقة،
غابت سيدةٌ في وهرانَ،

وجعبتُها ملأى بالذاكرةِ المحروقةِ وحكاياتٍ

حارقة:

أوراقُكَ تأتيني وأنا أمشي من تهشيمٍ

لهشيم، ويداكَ مجرّحتانِ.

أنا لستُ النافذةَ،

ولستَ سوى نصفِ الروحِ المخبوءِ وراءَ قناعِ

الزُّهَادِ،

فخَفّفْ أشجارَكِ عن زرقائي،

وتَجمّلْ بألوهيّتكَ المتقنةِ وبالكونشرتو

الذاتيّ.

الحيرانونَ سيلتقطونَ النجمةَ في الحَدَقاتِ،

فكنْ بجواري لا فيَّ وكنْ فيَّ ولا بجواري،

قالت خامسةٌ أني سأواصلُ تصفيةَ الكونِ على

المعصم:

أبني أربعةَ حوائطَ برميمي،

كي أفترضَ على موتايَ بهائجَ صاعقةً.

الأربابُ اللّماسونَ يعودونَ من السردابِ،
فيا سيدتي المكنوزةَ بالقمحِ وبالياقوتِ
انتشري في الذراتِ
وصِيري مَأثَرةَ المصدُوعينَ،
الليلةَ طِيبِي فالحيرانونَ سينسلونَ إلى
التابوتِ،
ينامونَ قليلاً حتى تندملَ النُدباتُ،
فلا تندَهشي من مَوْتي،
سَلِمَ فؤادُكِ من دَهْشاتِ المسلوبينَ،
ولا تعترفي أن الصوتَ أتاكِ من البئرِ
بصحراءِ الواحاتِ،
يقول: لتفّاحتِها قِنديلُ الطبقاتِ،
وفي ثنياتِ ملاءتِها اسمٌ من أسمائي.

يَتَوقّفُ في الموتِ نزيفُ الأحياءِ،
وتسكنُ في الضّلعِ صواعقُ صامتةٌ تتراءى
وتذوبُ،

اختبئي في النصّ كما يختبئُ القصّاصونَ،

ولا تقترحي أني الماءُ المترقرقُ فوقَ هجيرِ

عزيزةِ مصرَ،

فحاشا للاّمسِ أن يصبحَ ملموساً،

حاشاكِ من اللوعةِ يا امرأةً أسمتْ باءَ

براءتِها رائدةَ المزْدَوَجينَ،

تُرى أنتِ الموهومةُ أم رجلٌ

كان يريدُكِ بين يديه حقيقاتٍ مجبولاتٍ

بترابِ القفْطيّين؟

سَلامٌ للمعشوقينَ المحبوسينَ بوهمِ الحَقّ.

سلامٌ للعُشّاقِ المطلوقينَ بوهمِ الأبيضِ،

وسلامٌ للعامَيْن طويلَيْن أليمَيْن انفجرا في

جَنْبيّ

ومنحاني نعمةَ أن أُجرحَ،

وابتكرا في روحي سيدةً صُغرى

بين أناملِ قدميها النطفاتُ تئزُّ مُحَرَّرةً.

يصفو النهرُ ويغفو الحيرانونَ،

وخلفَ الغيمِ يموتُ النبلاءُ الحائيونَ،

لينسجمَ المدفونونَ مع الرّمْسِ وينسجمَ

الرّمسُ مع المدفونينَ،

وتجلو قارعةٌ

فسماحٌ يا مشتاقونَ

سَمَاحٌ يا صيادونَ تعدّون السمكَ الأبيضَ

لنقاهةٍ شاحبةٍ،

وسَمَاحٌ يا شُعَراءَ السبعينياتِ مَنَحْتُم أَخيلَةً

لامرأة أقصى من سنبلةٍ في النحرِ،

تَلفُّ على الدورِ بوهرانَ،

طريقتُها ما زالت مَزْجَ الفضةِ في الأسماءِ،

ومازالت مالكةً.

يصفو النهرُ ويغفو الحيرانونَ ولا يغفو

جَمْرٌ بَشَرِيٌّ،

لكنّ الروحَ الملموسةَ تترامى بفضاءِ الدنيا

وتضيعُ:

فلا السيدةُ هي السيدةُ.

ولا الرجلُ هو الرجلُ،

ولا خرجتْ باءٌ من جسدي.

نوفمبر ١٩٨٨

«يا نسيمَ الروحِ قولي للرَّشا» للحلاج.

«موقف البحر» للنِّفَّري.

«تِهِ دلالاً فأنت أهلٌ لذاكا» لابن الفارض.

«ويحَ القوافي ما لها سَفْسَفَتْ» لابن الرومي.

«أفي كلِّ عام غربةٌ ونزوح» لأبي دعبل الجمحي.

«ما رَبْع ميَّةَ معموراً» لأبي تمام.

ديـــوان

دهاليزي
والصيف ذو الوطء

(١٩٩٠)

«أدخلني معه مدخلاً أراني الخلق كلهم بين إصبعي»

أبو يزيد البسطامي

دهاليزي

هذه السماءُ

للفحيح الغامضِ في قلبي،

لِكسر الحزنِ التي تنغلُ في رئتيّ،

ولي.

لي: البالونةُ الخضراء

ولأعضائي نشوةُ الفداحة.

قابِلوا صفصافي عند مهابطِ الوديان

ومصاعدِ الجبال،

قابلوا نسائي عند الأساطيرِ وغرائبِ الأجساد.

وانتظروني عند اللغة:

سأجيء

دلالةً بعد دلالة.

إنني أبدأ في: يكون
حيث الرمالُ عضويةٌ
والكائناتُ كليمةٌ،
حيث كهوفُ الجنسِ والذاتيّةُ الصانعة
وحيث كل نايٍ: مراوَدة.
قابلوني هناك في:
داخلياً - داخلياً.

سلاماً أيتها القرنفلةُ التي فاضت على جثتي
سلاماً.
أدخلتْني إلى سُرَّة الدجى ندّابةً،
للفولكلوريّ في نحيبها تَسمَّيتُ اسماً
وكنتُ لا أُسَمَّى في الفرنقلة.

كانت تغني غناءً.
وكنت أغني غناءً.

ماسكاً جميزةً ثقيلةً دلفتُ في عتمةٍ أليقةٍ،
وفي كل تينة قنديلٌ.
سَمَّيتُها سِرًّا: جميزةٌ للقناديل الحالكة.
على كل باب أطرق طَرَقاً حانياً،
وإذ أطرقُ طرقاً ثقيلاً تُفتح الأبوابُ فوّهةً وغموضاً
فأعطي لكلّ كائنٍ حزمةً من الضوء المعتم.
قالت: لا تُسَمّني عند الجنائن.
فعرّيتُها وصرتُ أرشقُ القناديل في لحمها الوطنيّ،
حتى صارت جميزةً للقناديل الحالكة
فأبدلتُ التسمية بكيسٍ من الملح المنقوع زيتاً،
وسمّيتُها عند الوجيعة.

.

أرقدتْني تحت تينةٍ: ريمٌ على القاعِ.
ورقصتْ عليّ.
قلتُ: في كل سِكّةٍ وجيعةٌ وضوءٌ.
فرقصتْ على ماءٍ ورقصتْ عليّ.

أيقنتُ ما يلي يقيناً:

أن المَدَى ليونةٌ وأسماء.

أن النهرَ ضمَّامٌ.

وأن الغناءَ آهتان:

آهةٌ في الشرق البرتقاليّ،

وآهةٌ في الغصون.

وكنتُ أجري رائقاً – وصحتُ:

الينبوعةَ الينبوعة.

فأرقدتْني تحت سكّة: لما رنا حدثتْني.

وقطفتُ في صحوةٍ عنباً

فقطفتُ في غيبوبةٍ عنباً.

وجاءني غُلامُ الشفافةِ راكباً سُفناً ويراعاً طازجاً،

صحتُ: في الشجريّ كمين للاغتباط.

فأرقدتني تحت خيمة: ٢٥ مارس ١٩٧٣.

أيقنتُ أن المدى تميمةٌ والجسمَ نِبْلةٌ،

وصحتُ: أنا شُطرتُ في الأسماء.

فلما شَقّقتُ كبدي تحت جميزة:

لا أُسمّى في القرنفلة،

شهقتُ: سلاماً أيتها.

.

مئذنةٌ لشفيقة – ومئذنةٌ لي.

كنتُ أنشرُ على حقلٍ أعضائي

وسروالي

والوشم.

كنتُ أنشر على حقلٍ أعضاء.

. .

جسمُكِ بحجم الأرغول

تكونين في الرّيّ والذهول.

شجرةٌ تقول للبطن الجميل:

كنتِ تجرحين الفيزيقيَّ وتفتحين شَقًّا في الدمويّ

وفوق كل قنطرةٍ نزفٌ وخرافة.

. .

في فجيعتي قيل:

وهوهةٌ تجرفُ الجنوبيَّ

جسمٌ بحجم الأرغول يقطع الجغرافيا الواطئة

ويخترمُ الإيقاعَ والعويل.

قلت: ابركي على جثةِ السكونِ واعبثي بي.

تساءلتُ في غنائي:

ماذا تقول الأشجارُ للبطن الجميل؟

ردّ الجنوبيّ: شعبٌ من الأوجاع والسيولة.

تساءلتُ: هل أتاكم سلسبيل الوهوهات

الذي فتّحه المغني في أول الطبول؟

قيلَ: جسم بحجم الأرغول.

الغصنُ لي، وللوجيعة.

ذلك الميّالُ على السطوح الحاضنة.

صراخ.

قابلتُها وهي تخبِّئ في ثيابها تفاحةً طائبةً
وتغادر مستقرَّها نحو شهقة الحلول.
قلتُ: أنتِ في النتوء لا في القبول.

نخلةً تخرقين السقيفة
وتقضمين تفاحةَ التراجيديّ.
مئذنةٌ للأزرق -
ومئذنةٌ لي.

لا لُصقتُ في حلمةِ: رحلَ رحيلاً.
وجهي للأبيض غير المتوسط،
وساقاي لقوس الانفلات.

أدخلتْني تحت عريشةِ: صَبَابةٌ صَبَابةٌ.
وصَبَّتْ على لحمي الريفيّ أباريق دكناءَ سَيَّالةً،
وقالت:

أنا بكيتكَ في أول البكاء وفي آخر البكاء.
ثم دهنتْ حقويَّ وقالت:
صبابتان:
صبابةٌ للحزن وصبابةٌ للفرحة.
فلما اخترتُ كالطفل صبابةَ الفرحة،
تلاشتْ على نهرٍ وهي تبكي وتقول:
أفسدتَ ياقوتتي
أفسدتَ ياقوتتي.

وكنتُ كاتباً ما يلي:
قَشّري برتقالةَ الجسم برتقالةً.
أنا علّمتُهم وراءَ كل قشرةٍ فاتحةً:
عناقيدَ مساءٍ،
وشرفةَ ليمونٍ،
عرائشَ بحجم المسافة بين المناديل والبكاء
وقلتُ: غائبٌ في الأمواج غياباً،

وحاضرٌ في العريشةِ التي شهدتْ موتي ومولدي
فكانوا يُرهصونَ بي:
وَلَداً للترعةِ الكامنة.

أخُبُّ في النداء:
كانت وردةٌ لا سلكيةٌ وصلتْني بذاكرتي،
وحطَّتْني على الصوتِ الذي كان قال لي:
عليكَ الرماديُّ المليحُ.
فشبّهتُها في كتابتي بالبريّ
وشجحتُها في صحن المسافرخانة:
قبيلةً
وشهيقاً.

أنتِ تعلَّمتِ أن تتقافزي على كفوف القابلة
وأنا سوف أكتب: انهضي في المادة نهوضاً.
أو انهضي في الفضائيّ حَدًّا.

ثم سوف أكتب:

العشبُ يُفضي إلى الخلاء الذي يضاجع فيه

الرجالُ الغزالَ الجميلَ

وكنتُ قلتُ زمناً:

ارتقي ذاكرتي.

ووقّعي ببابي:

مستفعلن.

ثم لُصقتُ في حلمةٍ: يجيء مجيئاً.

يا: للنداء.

سَبَرتُ حَرْفاً:

أمسكتُه في غابة الذهول

ولم أطلقْه في غابة الصحوة.

وسبرتُ حرفاً ثانياً:

خبأتُه في ياقوتة الشهقة،

ولم أخبّئه في ياقوتة الهدوء.
وسبرتُ حرفاً ثالثاً:
حبستُه في الرئتين حبساً.

صنعتُ بالحروف الثلاثة مثلثاً بين الكتلة والحياة
وطفقتُ أسكبُ فيه دماً من ينبوعٍ وبخوراً.
وغبتُ في تميمة:
مزروعةٌ خُطاي في تهدُّج الرثاء.
طلعَ جسمٌ نحيل،
وصار يكبر يكبر حتى استوى في سماء:
لا يفهم الملوكُ والأباطرة.
ماسكاً جَرَّةً مثقوبةً تنزُّ حليباً مخضرًّا
جاءني وقال: كل رملةٍ محاولة.
فأخرجتُ حرفاً من الشهقة وحرفاً من الذهول
رميتُ واحداً بين الصخور الحية،
وواحداً في فم القطة البيضاء.

قال لي: نسختَني في الذَّرات والحسّيّ،
فأطعمتُه حرفاً أخرجتهُ من رئتيَّ،
فقام راقصاً عند غار:
صُبَّتَ كؤوس الكون.
وقذفَ عليّ جَرَّةً مثقوبةً قائلاً:
في كل جَرَّةٍ خيالاتٌ ولهجةٌ.
دهنتُ بالحليب جلبابي وجسمي،
وسرتُ حتى آخر الرملة والارتعاش،
ثم التفتُّ:
كان ما يزال راقصاً عند: صُبَّتَ.
فقلتُ بغتةً:
أنتَ علي قنديل.

وحدّقتْ فيه
كان ينتفي بطيئاً بطيئاً في الارتعاش والرمال.
وعند الجرّة المثقوبة كانت هناك قطةٌ بيضاء.

فأدخلتُ حروفي وتمتمتُ:

صاحياً

صاحياً.

حاورتُ شبابي حواراً:

أنت أثقلتَ غصني وغبتَ في الرحيل

أنت أفلتَّني من الفانتاريا ومن الرعب الصافي

ولم تَهِبّ فؤادي نقاوةَ الخطيئة.

وحاورتُ شبابي:

الفتاةُ في الجنينة المظلمة.

والفتى في الجنينة المظلمة.

يقضمان ثمراً غامضاً.

قالت له: أجيؤكَ في الخَضَار الليليّ.

قال لها: أفرشُ لكِ في كل جنينةٍ سروالاً حيًّا

قال لها: يعلقُ عشبٌ بثوبي.

وينصرفان.

قلتُ لشبابي:

بهما مَسٌّ منكَ وزعفرانةٌ.

وقلتُ: ما يزالان كلَّ إعتامةٍ يجيئان،

يقضمان ثمرةَ الغموض والتكليم،

حتى يحترق الليلُ عليهما وهما يتقاضمان،

وبثوبهما شيءٌ من العشب البليل.

نطق شبابي:

كلُّ ليلٍ نَفَسٌ وملاءةٌ.

وأنا أغيبُ في الرحيل.

أغنيةٌ لها – وحزنٌ لي.

يا حبيبي الخاسرَ الجميلَ كلُّ قنطرةٍ خديعةٌ،

يا حبيبي الخاسرَ الجميلَ قفْ قبالةَ جسدي،

واشهقْ على:

قومٌ،

ومملكةٌ،

وبيتٌ سابحٌ في الماءِ.

يا حبيبي الخاسرَ الجميلَ لا تصبُّ الدمَّ إلا في مناديلي

فلم أصبَّ الدمَّ إلاَّ.

فقالت: يا حبيبي الخاسرَ الجميلَ خذني على الحلفاء.

وهمهمتْ: في القنطرة القادمة

سأشقُّ جيبي على وَجَعَيْن:

في كل وجع حلمةٌ وعليل.

طلعَ عليَّ الطالعُ ليّ.

ومدّدني في سقيفةٍ: مُفْرَدٌ.

وكنتُ آتياً من شرخة الجسد البحريّ راقصاً

فزعق عليّ عند قنطرة:

في الإمكانِ الأبدعُ مما كان.

فتمتمتُ: أنينٌ لي.

يكون أنثوياً ومائساً

يُريني في غَيَابتي:

عقوداً طويلةً من مصابيحَ لينةٍ تنثال على

مشارف المدينة انثيالاً

ويُريني في صحاوتي:

فضاءً ممتلئاً ماء خَفُوقاً.

ثم يضطجع عابثاً في الحشائش عند ساقيةٍ:

تدخل الدوائرَ الخطوطُ.

فشقّتْ تحت شجرةٍ قميصها لي.

أحدوثةٌ للمرأة التي تحلم:

كنتَ – في غابةٍ – تحتضر على جذعي وجذعِ نخلةٍ

وكنتُ أسقيكَ من ريقي والطفولة.

وأحكي لكَ حكايةَ البرتقالِ الجميلِ والبالونةِ الجميلة

والأرجوحةِ

وأنتَ في احتضاركَ الجميلِ جميلٌ.

ولكنني كنتُ أبكي وأداويكَ بكَبدِ اليمامة.

أحدوثةٌ ثانيةٌ للمرأة التي تحلم:

كنتَ في صحراءِ حفنةً من ترابٍ صغيرةً.

وكان سيلٌ من الماء يهبط من هضبةٍ عالية

نحو الصحراءِ الصغيرةِ وحفنةِ التراب الصغيرة

وأنا مرتاعةٌ أصرخ أصرخ،

وأحمل ترابكَ بين قبضتيَّ

بعيداً عن مجرى السيل الذي يقترب جارفاً،

أصرخ أصرخ حتى دهمكَ السيلُ

وقبضتاي صغيرتان.

وصرتَ في الماء ماءً وقبضتاي صغيرتان

فرحتُ بجوار النهر أبكي

أبكي

بدمعٍ واقعيّ.

أحدوثة ثالثة للمرأة التي تحلم:
جاءت المزدانةُ بالهودج والطلاوةِ،
باسمةً
وبطيئةً.
فرأتكَ عيناي الدامعتان راقداً تحت هضبة:
قتلتنا ثم لم يُحيين.

أكتبُ على ظهرها الذي عندي:
تشبهين يناير ٧٧.
وأدخلُ في المرارة والصولجان.
كانت تضاجعني على فسقيةٍ:
كلُّ السيوفِ قواطعٌ.
فسرتُ بين أقوامٍ كثيرين رافعاً بدنها الذي
أتاني رحيماً
وكانوا ينشدون:
في كلّ فسقيةٍ بطنٌ للأنوثة.

فألصقتُ على بطنها الذي عندي رسوماً
نفخها الفارغُ السرياليُّ في أثيري.
ودلقتُ عند السيقان زيتاً وقماشةً خفيفةً.
قالت:
أنا جمعتُكَ عند حدودٍ: لا تَلْتَمّ.
ونثرتُكَ عند حدودٍ: اليمامة.

شاربٌ إبريقَها في الهديل والصولجان
وكانت تفرط شبيهها في ترابٍ وتخلطني بالشبيه.
رَوَتْ ما يلي على القبيلة:
علّمتُه كيف ينمحي في مواقيت الإبانة،
وعلّمتُه كيف تقول الأعضاءُ قولاً،
ثم أريتُه في كلّ فسقيةٍ: بطوناً.

تثنّيتُ تحت بخار: بطوناً
وصنعتُ من شبيه جسمها وتراً وعضواً،

ثم غادرتُ مستقرّي،
وصنعتُ من شبيه جسمها خليقةً وركضاً
وقلتُ:
يا يناير ٧٧ ضاجعْ عشيقتي في الصولجان.
فضاجعَها في المرارة والصولجان.
قلتُ: كن كراسةً وبدناً فجائيًا.
فكان.

كتبتُ على ظَهرها الذي عندي:
كلُّ قوم فسقيةٌ
وكلُّ فسقية حُمُولةٌ.
ثم ضاجعتُها تحت ملاءةٍ.
ألقتْ إلى الليلِ جِيداً.

كانوا أمام أفقٍ يقفون:
جاءت بناتٌ قرمزياتٌ عارياتٌ يتقاذفن أثداءَهن المضاءةَ
ضوءاً:

تحت كلّ بنتٍ غَجَرٌ سودٌ ضاحكون يخبُّون في أحواضٍ من النعناع المطبوخ. وفوق كل بنت كُتَلٌ من الكون الملون وخرزٌ ضخم ساطع. وأمام كل بنت مآذنُ مبلولةٌ ومناديل مخلوطة بسائلٍ يشبه زيت القناديل التي تكون في الأضرحة. ووراء كل بنتٍ مرجُ حناءٍ يترجرجُ ضارباً أدبارهن، فيضحكن مائساتٍ والغجرُ السودُ يضحكون مائسين.

ثم كنَّ جميعاً يعجنّ شيئاً مشابهاً لوادي النيل ويصنعن من العجين شيئاً لدناً يمضغنه مضغةً واحدةً ثم يقذفن على كل رابيةٍ قطعةً مربوبة بريقهن مربوبةً.

وكانوا أمام أفقٍ ثانٍ يقفون:

جئتُ أنا – وكنت ملفوفاً في قماشة وسيعةٍ –

أعطيتُ كلَّ واحدٍ ناقوساً في حجم خاتمي،

وتلوتُ عليهم كتابَ امرأتي الذي تركتْه على ظهري،

وأطلعتُهم على ما كان مني يومَ قُضمتْ كعكةُ الطلوع والبدن.

ثم مسّكتُ كلَّ واحد خرقةً من قميص امرأتي،
وأمرتُهم بأن يضعوا كلَّ خرقةٍ في ناقوس.
ولما فعلوا أمرتُهم بأن يضعوا النواقيسَ في سراويلهم.
فلما فعلوا صَرَفتُهم قائلاً:
موعدُنا الغسقُ القادم.
فانصرفوا، وجاءوا في الغسق،
فعرَّيتُهم جميعاً وأطلقتُهم في الصحراء.

وما زلتُ أصنعُ بهم مثلَ صُنعي كلَّ غسق،
حتى امتلأ الإقليم بأطفالهم من نسائهم،
وانتصبتْ على الصحراء سارية.
فأحكمتُ قماشتي عليّ عائداً إلى كوخي،
أتلو كتابَ امرأتي الذي تركتْه على ظهري
وغابت منذ عشرين خيمة.

ثم كانوا أمام أفقٍ أخيرٍ يقفون:
فجأةً أنشدوا:
لم يكن وصلُكَ إلاّ.
وبكوا بكاءً عزيزاً.

يأتي على صيغةٍ: نزيفاً.
عندما داهمه الغناء
خلع جلبابَه الحريريَّ نازلاً في الماء،
صارخاً عند ساقيةٍ على نهرٍ وحقلين.

وكان غناءٌ في الليالي يقول:
أيّها المضرَّجُ في الأرغولِ والجلباب الحريريّ.
قالوا: طعنتْه غانيةٌ كان يضاجعها عند
ساقيةٍ على نهرٍ وحقلين في السَّحَرِ السحيق.
وقالوا: جنيّةٌ راودتْه عن عمره الجميل.

يكون يكتبُ في الخفاء مكتوباً:
فرحٌ آخرُ ينتظرني
توتٌ أجملُ من توت شرفتي
ونباحٌ أكثر دفئاً.

أجيء في المضارَعَة، مهرولاً في ثيابِ:
يركض مبتلاً وحلواً حلاوةً.
تجيء في المضارعة، مهرولةً في ثيابِ:
تركض حلوةً ومبتلةً بَلَلا.
فيكتب مكتوبه الذي في الخفاء:
دَحْرِجي فؤادي إلى القناطرِ الحليلة،
واصبغي المدى تشكيلياً.

أنا الذي قلتُ:
يا غابةُ كوني حليلي.
فجاء لي بطيئاً وكاتباً،

يصفّر صفيرَه الميَّاسَ فوق الجثة المعتوقة

صرختُ: عريانةٌ – عريانة.

قال: كلُّ غابةٍ سجادةٌ وحالةٌ.

ففكَّتْ شَعَرَها إليّ – وكتبتْ:

قناطري مُتَّكأٌ.

فصرتُ في غناءٍ يجيئني كلَّ عراءٍ

أعلّمُ ذاتي:

المسافةُ بين ميدان الدقّي وبين الجبالِ السبعة

نَصْلٌ نابضٌ وسيولٌ من القطط الخضراء.

وأعلّمُ ذاتي:

بين الجرحِ والجرحِ تشكيلٌ.

فقفزتْ على ضوءٍ إليّ،

ثم مدَّدتْ شَعرَها صوبي ولفَّتْني في الذي مدَّدتْ لَفًّا.

أكون عند اللهجة نازفاً.

مغمغماً: كلُّ عشبٍ حساسيةٌ.

سِينٌ: سِكّين.

له ما لي من الأعشاب والبراءة

وما جمعتُ من ثمالةِ الفرحِ الوهميّ

وأكياسِ الحسرة..

أدعوه إلى وليمة قلبي،

وأمنحُه الفطيرةَ التي بصحني،

وأُرقِدُه على الوسادة التي كانت لأختي النائمة.

يجيءُ خافتاً وحليماً

وكنتُ أريده يجيءُ خافتاً وحليماً

أفتحُ له طريقاً بين الدمِ وثيابي

وأجعله يلاعبُ ملائكةً حقيقيةً تتقافز على

رُكبتيَّ

ثم يلاعبُ قططاً بيضاءَ تدخل من أبوابي وشبابيكي،

تتكوّم على شَعرِه الطويلِ فيرقد بين الدم

والثياب سكراناً.

فأدعوه عندئذٍ إلى وليمةٍ:

جئْ غُنُجاً وبصيصاً.

كنتُ أستبطنُ غَوْري متمتماً:

قميصٌ في زماني وقميصٌ ليس في زماني.

فخرج عليّ أبيضَ أبيضَ:

رمى عند قدميَّ مفتاحين طازجَين

مصنوعَيْن من خشبٍ عتيقٍ.

وقال: انشرْ ثيابَكَ على المنازل القريبةِ.

فنشرتُ ثيابي على المنازل،

فإذا كلُّ منزلٍ قطةٌ رمزيةٌ وامرأةٌ دائريّة

وكلُّ أفقٍ مُواءٌ وهَسَّةٌ.

صرختُ:

اخرجْ إليَّ في الفحيحِ والترعةِ المعتمة.

خرج لي خروجاً جميلاً:

إنسيًّا ومخاتلاً كالجرحِ الأصيلِ،

يفتح النوافذَ المفتوحةَ،

ويلصق في جبهتي ورقاً ملوّناً،

ثم يمرقُ بين ساقيَّ كالكُراتِ الإسفنجيةِ الخضراء.

أدعوه إلى وليمةٍ: هذه الكُوَى دلالةٌ،

فيقبل عابثاً في الطواحين،

يمرق بين ساقيّ كالكرات الإسفنجية الخضراء

ماسكاً فتاةً كانت

بين عباءته ولحمِه الفوسفوريّ،

يطلقها إلى مدينةٍ ذات جبالٍ سبعةٍ،

كلُّ جبلٍ كالجرح الأَصيل،

فتضع على كل جبلٍ جزءاً من قميصٍ لي،

وتمرقُ بين ساقيَّ مَرْقاً،

وأنا أفتح لها طريقاً بين الدم وثيابي.

وعندئذٍ،

كنا نقعد جميعاً على سلالم الأفق ضاحكين

وأقول له: لكَ الوجهُ الذي لي.

فيقوم قيامَه الجميل

لينصبَ إلينا مائدةَ:
ثاقبٌ معماري ثقوباً.

كان صاحبي غَنَّاء:
نَزَّ لي: الولدُ الراقصُ فوق قُبَّة الخليج.
وجاءني في الليالي مثقلاً وشفيفاً،
ألبستُه ردائي وشكوتُ لقلبه قلبي
فرمى إليّ الليل والفضاء:
الولدُ المزيج.
صرختُ: حاءٌ - حُمَّى،
فرمى: حاءٌ - حُبٌّ.

قابلني في الجبال السبعةِ النافرة
حيث الراقدون البدو يرقدون
يطحنون أجسادهم ويذرونها مع كل نايّ
وحيث البلحُ الغامضُ غامضٌ وضخمٌ

يترجرج بين أفخاذِ البدوياتِ البِكْرِ.
أيتها النادهةُ لحالي:
عندكِ النهرُ والليلُ البليغُ،
وعندك المِلحُ الممنوعُ،
والفطيرةُ المُحَرَّمةُ في بلادي.
سأكون في القميص المُنَقَّطِ بالقرنفلةِ الزرقاء.
أنا عَرَّاني البدوُ العُراةُ وصرخوا فيّ:
دموعاً للمسافرين دموعاً للمُلوحة.
صرختُ: دموعاً للمسافرين.
قالوا: هنا يتقلّبُ الأزرقُ انقلاباً فانقلبتُ،
قالوا: هنا بلحٌ للإثم الجميل. قضمتُ بلحاً
للإثم الجميل.
قالوا: الآن تأتيكَ القرنفلةُ الزرقاء.
خَرَجت المرأةُ اللونيّة من خيمةٍ وطيئةٍ
على جبلٍ وطيءٍ،
في بدنها نايٌ من البُوص الثقيل،

وقالت: ألقاكَ على كل جبلٍ خلاصاً.

فكنتُ والبدو في ثيابي
أترجرج في سائلٍ يصبونه من قدورهم
مخلوطاً في البلح المعجون بالأعضاء.
أنا الجبال أمامي - وورائي الجبال.
زعق عليّ الصوتُ: انطرحْ انطراحاً.
وجاءت التي عندها الفطيرةُ خالعةً جلدها الأوّلانيّ
وأَرَتْني قباباً قباباً،
فخلعتُ جلدي الأَوَّلانيَّ وانتفيتُ تحت قبّة:
يا نادهاً - يا.

وكان صاحبي بَكَّاءً:
أرقدتُه، وكنا على صحراء، بين غصنَيْن
ناتحين
وغنيتُ عند قدميه أغنيتين:

أغنيةَ الحاء والباء

وأغنيةَ: طِيري يا طيّارةُ.

جاءني يخبُّ في دموع

شاخصاً إلى الفضاء محاوراً فضاءً:

قال: يا طيّارةُ خذي الخيطَ وغادري المرئيَّ

قال: ثَبّتي جسدَكِ في:

دو – لا – مي.

قال: نعم سنروح.

ولما انتهى من حواره مع الذي ليس حسّيًّا

طفق يعانق الهواءَ عناقاً عصيباً

ويلوّح بقميصه الفضفاض وقد استضاءَ

جسمُه بالغبطة والنشيج.

ولما فردتُ له العباءةَ صاح بغتةً:

شَقَّتْ غلافَها شقاً.

أشار في السهل الخفيض إلى وعلٍ عفويّ بين
شجرتين ثقيلتين،
وقال مأخوذاً: دمٌ يجري على قدمين.
ففردتُ العباءةَ قائلاً:
لكلّ شيءٍ شجرةٌ
وشجرةُ العشقِ البكاء.

كان إلى نبعٍ يرشُّ بأصابعه ماءً
على أطرافِ الجبال العالية،
ويبخُّ من فمه ماءً
على الطيور التي تحطُّ بين ساقيه الغليظتين.
خلعَ الثوبَ وقال لي:
لُفَّني في عباءةٍ:
أن أكونَ بين الأرحام.
ففعلتُ.

تمتمَ للمؤنث الذي له يتمتمُ:

شُقّي موسيقياً.

ثم كان إلى عشبةٍ جافةٍ من صنوبرةٍ جافةٍ

قام يرسم بها في الهواء دوائرَ غامقةً غامضة،

فلم أفهم.

سألتُه، قال: أنا أحاور كائناً.

وانبطحَ على البطحاء.

فلم أفهم.

قال: أنا أحفرُ على بدنِ شفيقةَ ناري.

ثم كالملدوغ راح يصرخ متمرّغاً:

كُلي يا شفيقةُ كبدي.

كُلي يا شفيقةُ كبدي.

وظل يردد قولَه حتى ارتخى هامداً

ففردتُ عليه العباءةَ المخزونةَ،

وغنّيتُ عند قدميه الغناء.

وكان في الإغماءِ يتمتمُ:

اذبحوا لي حمامةً في:

خَلٍّ عينيكَ تدمعا.

للصحراءِ في الزهر الجنوبيّ فحةٌ ورئةٌ.

صرختُ في نومي:

أيتها الموسيقى المكتومةُ اذهبي بي

حيث الجسدُ الذي يجرف الأشكالَ.

وأكملتُ في صحوي:

خذوني

خذوني إلى الكمينْ.

أيها الإنْسيُّ الدفينُ

هيتَ لكَ أيها الإنسيُّ الدفينْ.

خُضَّني وأخبرني: هل وراءَ كلّ صخرةٍ إيقاعٌ؟

كان يقبعُ لي في الهشيم فاتناً وفردياً.

جاءتْني التي جمعتني عند: لا تَلْتَمَّ.
فأعلمتُها أنني سأكتب:
فحيحُ المدى فِخَاخٌ
وهذه الرمالُ أفئدةٌ.

قلتُ: اصرخي ورائي: أيها المجهولُ الجميلُ.
صرختْ ورائي: أيها المجهولُ الجميلُ
يا آتياً من عُشَّةٍ:
فاعلن.
شددتُها من ردائها وصحتُ:
انظري يا شفيقةُ
هذه أحجارٌ تجري إلى الفضاء
فاخرجي من الأغاني إلى المفتوح.
وقلتُ: ها هنا الكثبانُ أجسامٌ
ونَبْرَةٌ.

أرقدتْني في الكمين

فأمسكتُها في الصلاة.

وقلتُ: يا شفيقةُ أوصيني بما شربتِ من

جَرَّةِ اللبن.

فقالت: اصنعْ على كلّ عُرسٍ مزماراً،

وضَعْ ردائي على الزهر الجنوبيّ.

ثم قالت: اركضْ منّي إليّ:

فاعلاتن.

فصحتُ: أيها الإنسيُّ الدفينُ هيتَ لكَ

في الفخاخ الجميلة.

كان حقلٌ يجري على طُرُقاتها الضيّقة

يجرّه حصانان ملتاثان

يطرق الأبوابَ التي أغلقها المساء القاتم،

طرقَ بابي

خرجتُ إليه خروجي

وكان ماسكاً فرشاةً غريبةً

قلتُ: جئتَ بالزعفرانِ وأكياسِ المرارة؟
قال: جئتُ بالفتاةِ التي ترتدي القطيفةَ السوداء.
ورسمَ بوابةً قرويةً على وجهي.
دخلتُ إلى الفسقّيةِ والحرارة،
إلى البخارِ الذي يسلخ أبدانَ القبيلة.

خلق فتاةً تلقائيةً لي
ألبسها خَرَزاً مزركشاً بدمائي الخضراء.
ثم دحَرَجَها إلى عتبةٍ:
كلُّ الوجوهِ ابتهالةٌ.
فكانت تنبشُ على صَدْغي وردةَ فان جوخ
الطائرةَ
وتربط وجهَها بوجهي.

يجري على الطرقات الليّنة
يجرّه حصانان ملتاثان.
فأيقظتْني من سماءٍ:

كأن القلبَ ليلةَ قيلَ.
ووضعتْني في سماءٍ:
تستسلمين كالشجرة.
فصحتُ: انفتحتْ الكوّةُ انفتاحاً.

الأبوابُ التي أغلقها المساءُ القاتمُ.
طَلَبَها في الصاد - وكانت غائبةً.
طلبَها في الباء - وكانت غائبةً.

بخارُ الفساقي يَسلخُ أبدانَ الداخلين
فهرولتُ إلى بوابة الوجه البحريّ
ودحرجتُها إلى أريكة : لي - لي.
انفتحت كوّتان:
طلبها في الدّال - أومأتْ.
طلبَها في الميم - بدأتْ.
وكان الحقلُ يجرى على الطرقات الطائعة

يحفر على وجوه الأهالي غزلاناً ووردةً طائرةً

ويحرسني

حيث كنت أعبث تارةً في ترابِ:

جثثٌ علَى الفنارة.

وتارةً في تراب:

غنائياً - غنائياً.

أقحوان - أقحوان

أقبلي على الندى والأوان:

مراكبُ ورقيةٌ كثيرةٌ تسيل على نهري الداخليّ

تفرُّ من بوغازٍ إلى بوغازٍ

وبين كلّ مركبين امرأةٌ كانت تقول لي:

خلِّ عينيكَ صوبي.

وعلى كل مركبٍ جرارٌ من الياسمينِ المطحونِ

وتفعيلةٌ.

دخولها دخولي:
شقَّتْ قميصَها لي، ودحرجتني إلى التلوينِ
الرماديّ، فانجررتُ سامقاً إلى التلوينِ
الرماديّ، ثم كتبتُ:
مجروحٌ على سَجيَّتي مجروحْ
ومُغْلَقي مفتوحْ.
فأَجْرَتْ في شَعرها نهراً وسَيَّرَتْ به مراكبَ
ورقيةً كثيرةً داخلي، ومَدَّدَتْني على شِراعِ:
مُنتهى الجموع.
وكانت تقول: خلِّ عينيكَ صوبي.
فخلَّيتُ.
ضحكتْ على مركبٍ ورقيّ بي وراودتْني،
وكنتُ آتياً من ١٨ و ١٩ راقصاً وضاحكاً
قبالةَ التلوين الرماديّ. قالت:
لاقني عند الجذوع والخلاء.

فلاقَيْتُها عند الذي قالت، ثم خاصرتُها في:
يُؤَدُّون دورَ المحبّينَ والأنبياء.

انبلاجها انبلاجي:
عَوَّمَتْني على مركبٍ بي فقلتُ:
صِفيني صِفَتَيْن:
صِفةً بها تركضين إلى تلول الماء،
وصفةً أغفو بها على نُطَفي المُقبلة.
فوصفتْني بمثل الذي قلتُ،
ثم سَرَّبَتْني إلى الكائن الذي سألني مباغتاً:
بأيّ عَرَقٍ كنتَ ترقص ليلةَ الشهيق والطلوع؟
فصحتُ عائماً: ببَهْكَنَة تحت الخِباء.
قال: جوّانيّةٌ هي السُّفُن.

آلافٌ من العشِّ الخفيفةِ تجيء.

صاح الجسدُ الذي يجرف الشكلَ لي:

انثر البلّورةَ انثر البلّورةَ،

واخرجْ من جهةِ الجَميزيِّ إلى الكمائن الناعمة.

للفخاخِ الجميلةِ أكتبُ:

حُطُّوا عليَّ السنبلةَ،

بدلاً من الغابة البطيئة.

سَمُّوا إليَّ الرذاذَ،

بدلاً من الهُطُول

وسَمِّني يا فضاءُ.

للفخاخ الجميلةِ سَفَرٌ يخلعني من شجري

ويرشقني على ساريةِ الجبل الغريب.

حيث العشبُ الخفيفةُ

ومروحةُ الهواء

وحيث الصبايا يغنين لي:

مُنداَحاً-

منداحاً.

انفضحتْ رموزي

وأُفرِغَتْ خزانتي المكنوزةُ.

وهاَ أنا أختفي

في:

لَكُم.

أبريل ١٩٧٧

التضمينات: من الشعر العربي القديم، وأغاني فيروز، وأشعار شوقي وأدونيس وحسن طلب وعلي قنديل.

الصيف ذو الوطء

هُنَا حَبْلٌ طويلٌ مُلوَّنٌ بألوانٍ تطيب لي،

وممشاةٌ تلتوي في اتجاهٍ أماميّ، وتنثالُ.

تعالوا يا جذوعي، قفوا تحت أقدامي:

أفسدتموني،

وأقعدتم عصافيري عن فُجرها الأصيل.

أيها المفسدون اهجروني

دعوا بهائي وخيبتي يذهبان بي

إلى الجرائم المبتكرة والإثم.

سَمّيتُموني باسمكم وسمَّيتُكم باسمي،

وهبتُكم شكلي ووهبتموني شكلكم بليلٍ،

ولكنني غيرُ لابثٍ في شكلٍ،

وغيرُ منسوبٍ إلى مُسَمَّىً.

أنا ما خنتُ، أنتِ يا جذوعي التي تخونين

تطمعين أن أصير تابوتاً، وأنا العشّاقُ للمنحدرات

فلا صفاتي تدوم لي،

ولا المنازلُ قابضةٌ على جسمي.

لكم كمائني،

وليَ المُحالُ.

(اشتبكتْ موسيقى الجرحِ بموسيقى الكونِ،

وحطَّ الطائرُ رحلته في عنقي،

استيقظَ عمرٌ يمتدُّ من الصرخةِ للخطواتْ

الطفلُ الشيخُ اختلطتْ في قدميه الطرقاتْ

فابتسمَ،

وراحَ يرتّبُ في سقطته سلسلةَ الآهاتْ)

هم فاجعون.

يرقبون العطنَ القديمَ يعابث بحري

فينتشون باقتناص الغزالات من مرعاي،

هم لا طالعون.

قال لي: الكلامُ حقلٌ وحقلان وحقول
فهاكَ محراثاً وترعةً صغيرةً وأفقاً.
وَعيتُ بعد احتراق نخلتي أنني لم أعجن
الحقولَ بالحقول.
هل يندم السفهاءُ؟

استيقظوا يا عيالي،
ضَيّقوا الخِناقَ حول عمري وافرحوا بجهلي.
أيَّ شجرٍ في الكراريسِ ترسمون؟
أيَّ شجنٍ على الوسادات سَكَبتم عندما دقّ الجرس؟
وَيْحي من الإفصاح عما لا يبينُ لي.

(يلعب بالحَرْبة والياقوتْ
من ثقب الكون يفوتْ
يلعب بالملكوتْ
ويموتْ)

أنتَ ترسمني ولا تَعرفُ ناري،
وقعتَ في السفائن التي أبحرتْ بالقلوبِ،
فازحف على البطن حتى تبلغَ الفاتحين،
إنني في ناظريكَ فانظرني لتلتئم.
عليمٌ أنت أن للأشجار قدرةً على الصعود
ولكنكَ لا تعانق الخلاءَ الذي مُنح
لأصابعكَ منذ عشرين عاماً.

لستَ جذراً،
ولستَ خَيْلاً،
ولستَ طائرةً ورقيةً.
جئتني لكي أعلمَكَ الرمايةَ في الشّغافِ،
واسمعْ صراخ المدى:
قفوا في الحَلْقِ يا واقفين في الانسجام.

هم يمسكون الخريطةَ ويقطّعون كروكيًّا يشبه البلاد
هل الجبل يعلم؟
وأنتَ ضحكةٌ شاذةٌ على سياقٍ مأساويّ،
فاصررْ ثيابكَ في صُرّةٍ،
وعندما يتأهب الخَلْقُ للدموع
أطلقِ الزعقةَ التي شرَحْتُها لكَ في مساء الويلِ:
هذه المرآةُ
ناقصةٌ.

(كان الطريقُ طريقَهُ
فمضى يحاول أن يرجرجَ كأسَه في عمرِهِ
ويريقَهُ.
أقعَى يفتّشُ في المياهِ عن الصّبا.
كان الغريقُ
غريقَهُ)

هل شَرَّدَتْني الفيافي؟

مرحى إذن بالخلاءِ السليبِ.

اقتسموا عند سجادتي الأغنية وشاهدوا رؤياي:

الحريقُ في ثيابي

وسنبلةُ العشيرةِ ما تزال في عشائي.

أودعتُكم حزناً وجهلاً،

فاذهبوا الآن:

زُمَراً

وفرادى.

وَيْ، أيها الفؤادُ خَبّرْني:

هل هذه الطريق صالحةٌ للخُطى المُخَفّفَةِ كاللمسة؟

هذه الخيالاتُ التي تهجم عليّ،

البوارجُ التي تمخرُ العظام،

الولائمُ في فناء أبي،

السواداتُ الهائمةُ: كأن كلَّ هذا الطقس لي.

أمشي فألمحُ الدارَ المثقوبةَ بالجرح المسقوفةَ بالطيوب،
وألمح الفمَ والحوتَ وكائناً يقول لي:
كُنْ مرةً منقذي،
أنت من ضِلع النجوم، والقوافي قواقعُ،
فخُذ عَوْرَتي وامرُقْ بها أيها المشاكسُ الخَذُولُ.
أسلمتُ عندها قمحي وقلتُ:
فاخبزي رغيفاً للخُلصاء.
إن ذلكَ الراقصَ الوحيدَ سيرقصُ
عندما تسكنين منوالي.

(نَحُطُّ مطرَحَ الكَمَانْ
ملاءةً،
ومطرحَ البلادِ بلدَةْ
نَحُطُّ في النوافذِ القميصَ فوقَه يدانْ
وتحته الجموعُ يمسكون شمعدانْ
والفتى على النسيج مثخنٌ بطعنةِ المَوَدَّة.

تقول وردةٌ لوردة:

نحطُّ مطرحَ الزمانْ

قصيدةً،

ومطرحَ المكانْ

مخدَّة)

هذه طيورٌ تلعبُ في ركن غرفتي

يفوح من ريشها أرقُّ حديثٌ، وهي تغيبُ عني.

يا تيجاني،

يا ملبوسةً غضباً،

سأعطيكِ محبرةً لترسمي وجهي

وترسمي دمامةً تفيض علي الجذبِ في

نصاعة الحروب.

يا تيجاني

يا مخلوعةُ.

الختامُ موشكٌ،

فاعلموا أن وجودي مُعَلَّقٌ على نخلةٍ ليستْ

قُرْبَ جسري.

هل فزعتِ يا صغيرةُ؟

هذا البيان كاذبٌ

إنني أُخفي بكذبتي سِرقتي للكلأْ،

فأجيروني

إن هزائمي تتراكب حواليّ فأحاول الغناء

ليس يسعفُ الغناءُ مثواي

لأن هذه الطيورَ تورث الشجون.

وهو موغِلٌ:

يهزمني ويمضي صموتاً كملاكٍ مشغولٍ بخليقةٍ

وأنا واقعٌ

في أموري.

النابيةُ عن موسيقاي خطفَتْني من سمائي
إلى الملاءة،
صنعنا شيئاً يخصُّ البدنَ البشريَّ،
وأفلتنا هادئَينْ.
بذا يصير الضوءُ بيتاً خشبياً،
ويُقبل على خَصاصنا سربٌ.
فأهتف: أسرابَ الخَبَلِ المُفَضَّض لك المرحى.

(كان على قلبي
أن يتبدَّدَ في الأرغولْ
وينامَ على الشطّ وحيداً
يتأملَ في سكتتهِ
دمَهُ المنغولْ)

جمعُكُمُ الجليلُ في داري
وأنا أقذفُ في صدوركم مساميرَ غامضةً،

وأُطلقُكم في الفيافي مشرذَمين.
أنثاي لي،
وقد وهبتُكم قلق الجنازاتِ،
فاقلقوا تتكوَّمْ في فخذكم أرضٌ بها أهلون.

حنانيكَ يا جُموحُ،
أريتني ما لم ترَ العيونُ
وأسلمتَ رأسي للشطوط،
مهلاً على عَظْمي يا فاجرُ ارحمْ،
هنا الشُّطُوطُ والشَّطَطُ.
سأكون مذعناً وخارجاً عن النسيجِ،
وساقاي سوف تصبحان إبرتين ترتقانِ
رقعةَ الأقاليمِ.

طفولاتٌ مخبوءاتٌ تحت الرمادِ،
محاريثُ تحرثُ الأحداقَ،

طوابيرُ،

نواقيسُ،

أزياءٌ،

جَمْرةٌ.

حنانَيْكَ فليكن لي رقمٌ في طوابير الضحايا

قبل أن أذهبَ إلى ندّاهةٍ.

حانَ وقتُ الدَّقِ على دورنا،

ووقتُ صدورِ الموسيقى عني.

واهًا لدواليب الخلاءِ التي باعت ثيابي إلى المجهول،

وما زلتُ لا أُتقنُ مقارعةَ القرين.

(طَعَنَ الفتى نَفْسَهُ

مسَّتْهُ عابرةُ الليالي بالمحبَّةِ،

أثقلتْهُ مَسَّةٌ

ورَمَتْ خُطاه إلى الدجى مَسَّهْ

فاختار مصرعَه النقيَّ
يجسُّه في كلّ وقتٍ من مواقيت البُكا
جَسَّهْ
خَلَقَ الفتى نَفْسَهْ)

هذه الدواليبُ قَسَّمَتْنِي بسيفٍ شعبيّ،
فقولي لمن يطرقُ نافذَتي:
عند التلولِ المصرعُ المأمولُ
وفوقَ الشواهدِ الخنجرُ.
وقولي لأمي:
أرداه كعبُه المفضوحُ.

لماذا ينساق قلبٌ وراء بُطَيْنِه؟
سيروا نحو الجنازاتِ واستيقظوا يا عيالي
من شجرة الغِناء.

كأنني ظلُّه، يطارد خطوتي حلمٌ بطيء.

افتحْ لي كهفَكَ الآن يا حلمُ

ودُلّني على معنى الرسوم التي تربّصتْ بي

في كُوى الجدران.

سَدَّتْ عليَّ لِؤمي صيحةُ الغريب،

ومَشَّتْني إلى الحافة الأخيرةِ.

الهاجسُ الذي اعتراني وعَرَّاني جرى بي إلى السفوح:

كانت الماعزُ تركضُ

قلتُ: فلأتحدْ بماعزي

وأدرِّبْ جريَها على حنكةِ القفز فوق المسافات.

أعلاني أزرقٌ فتيٌّ على الرمادِ

فاختبأتُ في قناعي،

تكاثرتُ أولاداً يضربون في البيداءِ،

يثقبون خرقةَ السيّدِ الصوفيّ.

كانوا يدبُّون في سراويلَ بيضاءَ
ويشهرون متراساً في وجه صخرةٍ مَيِّتَةٍ.
أدركتُ أن فنائي ورجائي متقاطعان.
الماعزُ اشتعلت في قراريط القمح،
فمن يُمَيِّزُ لي موقعي بين الحقولِ والحريقِ؟
جريتُ صارخاً:
يا رائينَ رؤيةَ الغياهبِ هل أتاكم نبأ بي؟
نحن لن نبوحْ
فالماعزُ التي في السفوحْ
محروقةٌ.

(الوردةُ حَمّالةُ أَوْجُهْ.
لمستْ عاشقتي البحرَ بكفّين مدرَّبتَينِ
على اللمسِ الصافي،
وأنا أغرقني مَوْجُهْ.
قلتُ لصاحبتي: ما تختارينَ؟

أجابت: لكَ صحراءُ الوردِ،
ولي مَرْجُهْ.
الوردةُ حمَّالةُ أوجُهْ:
فهي أجيجُ الكونِ
وغُنْجُهْ)

لمحناه في البراري مجزَّأً إلى بحيراتٍ،
وكنا على البراري صفوفاً
نشعلُ الذرةَ والفولَ ونرسمُ:
كوني أيتها البراري حليمةً.
راوغوني يا خيّالةَ المدى حَيّروا بصائري يا خلصاءُ
هنا شموسٌ ندّابةٌ ومحبرةٌ وبقولٌ
وبناةٌ يبنون دكاكينَ قيامتي.
إن هذه المرأةَ لها مقامٌ بجلدي
غير أنني ما زلتُ في حُمَّايَ وحدي،
وفي نهرٍ.

لماذا تدلق المرأةُ هذه الأسماكَ اللّماحةَ

بين جِلدي وبيني؟

تقولين: أنا فاتحةٌ قوسي فادلفْ خلفَ رتاجي.

وبيني وبين جلدي خصومةٌ دفينةٌ

وقوسٌ يغني فريداً:

واهاً لأعوامي.

اندهي الشهودَ كي يشهدوا زاري

ويرفعوا عني غلالةً.

(نبتتْ في بئر القلبِ المتقيّح وردهْ

ماتتْ في بئر القلبِ المتقيح وردهْ

وأنا بين النبت وبين الموتِ

بقايا لحظاتٍ

مُنْهدَّهْ)

نحن لن نبوحْ

فالجروحْ

تفوح في البراري

والختامُ موشكٌ أن يخرطني،

وأنا ما خُنتُ، أنتِ يا جذوعي التي تخونين،

تطمعين أن أصيرَ تابوتاً،

أنا العَشّاقُ للمنحدراتِ،

فلا صفاتي تدوم لي

ولا المنازلُ قابضةٌ على جسمي.

الوداعَ يا جذوعي

أنا أخلع اللحاءَ عن فؤادي،

فلا تحزنوا عليّ إن نزعتُ قمصاني بليلٍ،

وزُلتُ.

مايو ١٩٧٨

ديــوان

فقه اللذة

(١٩٩٣)

كتبت قصائد هذا الديوان في الفترة من

« ١٩٨٩ » و« ١٩٩٢ »

إلى أمي، وبائية الحائي

أَوَّلٌ

خذوا الإوَزةَ من عُنقُي،

هنا عصرٌ يسير عكسَ صُنّاعه اليدَويّين،

على سرير توتَ عَنْخَ آمونَ قلتُ:

أنت امرأتي التي كتبَها اللّه لي.

جُرثومةُ الرعبِ آكلةٌ،

لكنني سأضعُ قشدةً على قشدة،

في بقعةٍ مجهولةٍ سنحفظُ الشرائطَ:

حيث الباليه الذى اقترحناه على جِذعيْنِ،

خذوا الإوَزّة من عُنُقي،

ساقاكِ دلتا صغيرةٌ،

فاذهبي إلى المطعم الشعبيّ في بساطةِ الأسْرَى،

قال رجلٌ: لماذا تريدينَ وَضْعَ السماءِ في قفصٍ؟

قالت امرأةٌ: لأن قُرْطي طائرٌ،

سوف أكونُ في «جارة الوادي» مساءً.

تحت لسانك شَرَكٌ وفوقه القُدّوسُ والهِندبَاء،

فكيف تُقبّلينَ يديّ وأنا الصيْرفيُّ المختلسُ؟

أنتِ كافُ كافهِ وسينُ سينه تحت معجزةٍ،

طَميُكِ شاسعٌ: كبدي والشِّعرُ والليلكيُّ،

فوزّعي القمائنَ على المنتظرينَ خارجَ الدّسْتِ،

أما أنا: فسوف أمسحُ السيَّلَ بين فرعيْكِ بمُسَوَّدة النَّصّ،

خذوا الإوزَّةَ من عُنُقي.

طائرُ الرّذَاذْ

رجلٌ يتلفّعُ بكوفيَّتِه الزرقاء،
يصارحُ ذاتهَ: ليس هذا القلبُ المجرّحُ نقشاً بابليًّا.
أشارت سيدةٌ بيديها وعَرَّجتْ على المعبد القديم.
كان حمورابي يقول: أنا المتورِّعُ القَلِقُ،
بينما الروحُ مخدوشةٌ ببداياتٍ.

هل تذهبُ إلى سَامُرّاء؟
إنني أذهبُ إلى نفسي لأفحصَ ارتعاش صوتي
كلما هممتُ بالحديثِ عن بَيْرم.

هذه سنواتٌ خطرةٌ،
والقلبُ مشقوقٌ تنزُّ منه المراراتُ كالحليب.
هل ثَمَّ عالمٌ غيرُ ما رأيت في خمسٍ وثلاثينَ رحلةً؟
بابلُ جميلةٌ، وعينا السيدةِ بابليّتان،

سنمشي على الشطّ في المساء لو لم تُلاحقْنا الحصاراتُ،
سنرقبُ البطّ مطلوقاً في ممراتِ الحديقةِ لو لم تُلاحقنا الحصاراتُ،
سأشربُ القهوةَ في المقهى البغداديِّ مشدودةً إلى «البرزخ» لو لم تُلاحقْنا الحصاراتُ،
سألبس الأبيضَ الحيَّ وأعيدُ تصفيفَ شَعري كما تفعل الشاعراتُ لو لم تلاحقْنا الحصاراتُ،
سنهربُ من الحصارِ لو لم تلاحقنا الحصاراتُ،
أيها الجميلُ خُذني إلى دِجلةَ، دجلةَ الحُرّ نقيضِ الحصارات.

تشربُ المرأةُ قهوتها والرجلُ حزينٌ
يشربُ الرجلُ قهوتَه والمرأةُ حزينةٌ.
هل أرهقْتُكَ بالحكاياتِ عن انشراخِ عمري؟

نسي الرجلُ أن يقولَ: كلُّ شيء يمكن أن يبدأ ثانيةً،
نسيتْ المرأة أن تقول: عليّ أن أصطدمَ بميراثي،
شجرةُ الكافور في غِرناطةَ صامتةٌ وفي الفضاء كلام.

سأغيّرِ الستائرَ وساعةَ الحائط وأغلفةَ الكتب وأجيء
سأعدّل هندامي وأضعُ الشّالَ على كَتفيّ بميلٍ وأجيء
سأتلقى البرقيةَ الأخيرةَ بموتِ السفهاءِ وأجيء
سأكنس السُّلمَ من بقايا السجائر المحروقة وأجيء
لقد انتظرتني عامين فانتظرْني دقائقَ قليلةً:
بقدرِ المسافةِ بين غرناطةَ وأصابعي.

لماذا لم يُقبّلِ الرجلُ الجزءَ المصابَ من رأس
السيدة الجميلةِ؟
لماذا لم يقلْ لها «صباحُ الحبِّ» بدلاً من «صباحُ الخير»؟ كان
الشتاءُ قارساً، والسيدةُ الجميلةُ تستشعرُ نقصاً في المكان،
وتَرى قاعةَ أبي نواس فارغةً إلا من رجلٍ لم يُقبّل الجزءَ
المصابَ من رأس السيدة الجميلة.

تُنْشبُ الغوريللا أظافرَها في جَسَدِ الرّئمِ،
كان المارّةُ يمرقون مُسرعين،

رجلٌ وحيدٌ جلسَ وحيداً يكتبُ رسالة إلى قاسم حداد،
أظافر الغوريللا تمتدُّ من إسكندريةَ حتى القصر العينيّ،
مارةٌ قالوا: الشِّعرُ والحبُّ نِعمتانِ من تراب نِينَوَى،
وكنتُ أسألُ نفسي:
كيف نِمتُ هادئاً بينما الرّئمُ ينزفُ على بوابةِ المساء؟

ورائي خمسةٌ وثلاثون عاماً من الحنين،
قرأتُ سَبْعَ رواياتٍ كانت بطلتُهُن تشبهني،
تعرَّيتُ أربعَ مراتٍ: ثلاثاً بفعل الاغتصابِ،
ومرةً حينما قلتَ لي: أوحشتني،
أحبُّ فيروزَ وعبدَ الوهاب وخانَ الخليلي وبن جَلُّون،
شاهدتُ فيلماً واحداً عن ساعي البريد،
وقعتُ في الغرام تسعينَ مرةً حينما سمعتُ عازفاً يقول:
«يا من يدلُّ خطوتي على طريق الضحكة البريئة
يا من يدلُّ خُطوتي على طريقِ الدمعةِ البريئة»
.

فَهمتُ به لكنه راحَ في الوباء،

أنا ميَّالةٌ للاعترافاتِ فهل تأخذني باعترافاتي؟

أعزفُ قطعةً على الناي كي تنامي في وداعة رَنيم.

أوقظكِ في الصباح بكتابين في النافذة،

أجعلُ النجوم ثابتةً لكي تراقبيها «زاهيةً» كأمي،

أقول للشعراء: أقدموا.

فيرمون القصائدَ الجديدةَ عند الكليةِ الحربيةِ،

أضربُ الثعالبَ بعمري كله، وأتنحنحُ:

أنا خفيرُ قلبكِ المرهَق.

تتغير الفصولُ في شَهقةٍ وعِرْقَين،

هنا دنيا تقلّدُ العزفَ المنفردَ على الكَمَان،

وطُرقاتٌ تتقمصُ حكمةَ الكُوفيينَ،

هل الزمانُ خاتمٌ في إصبعٍ؟

فُلٌّ يتسلّقُ رؤوسَ العابرينَ في الطريق،

فُلٌّ في مطابعِ الجرائد ومحطاتِ المترو وشركاتِ الطيران،

فُلٌّ في شاشات التليفزيون ومَضَخّةِ المياه،

فُلٌّ في عيونِ الساسةِ وعلمِ الكلامِ ومكتبِ العمل،

فُلٌّ في أصول التشريحِ وإغفاءة المحاربينَ،

فُلٌّ في نداءات بائعِ الفلِّ،

فُلٌّ في صباح الفلّ.

كيف حالُ سيدي؟

على الأسلاكِ صوتي وكانت بغدادُ سيفاً آدمياً،

جاءني الحَسَنُ البَصْريُّ في نومي وأعطاني سَعَفةً،

وقال: ظلّلي بها صغارَ اليمام،

وجاءني وعلٌ أشوريٌّ وقال: اسلخي زماناً عن الجِلد،

تساءلتُ:

لماذا لم تأخذْني إلى السَمَاوةِ كي أرى أخاكَ العليل؟

قلتُ: كانت حياتي بروفاتٍ مريضةً
للحظةٍ أقول فيها لسيّدي: كيفَ حالُ سيدي؟

يُكملُ الموسيقيون نوتاتهم الناقصةَ يومَ الإثنين،
يبدأ فؤادُ زكريا كتابَه الجديدَ يومَ الإثنين،
تسافر لَمِيسُ إلى الراهبِ يوم الإثنين،
يغنّي عدلي فخري في مسرح الغرفة يوم الإثنين،
يجتمع شعراءُ إضاءة ٧٧ يوم الإثنين،
لم يُقتلْ خميس والبقري وشهدي عطية وعلي قنديل يومَ الإثنين.

انقضى دَهْرٌ منذ خرجتُ من كَهْفي،
وهذه ثلاثُ لحظاتٍ مضغوطةٍ كالديناميت،
لماذا تضعُ امرأةٌ ماءً لوردٍ في إناء؟
قالت امرأةٌ للمغنّي السياسيّ:
أرى وجهي نظيفاً مثل سارةَ.

لم يكن المغنّي يسوقُ أغنيةً،
كان يستخرج حصى الروحِ من الروحِ ويترك المواجيدَ موُشِكةً.
عاشقتانِ طائرتانِ في فضاءِ غرفةٍ،
وعازفانِ مضرجانِ في وترٍ من خائنةِ الأعين،
لم يكن المغني يسوق أغنيةً من الشّغَفَ المخبأ،
كان يخلطُ العاشقاتِ بالعاشقِينَ ويصنع من عجينةٍ كونشرتو.

هذه أنا في الثالثة،
سريرٌ بنيٌّ ومَخَدّةٌ مُقَلّمَةٌ بالقَصَب.
هاتانِ زميلتانِ في المعهد كانتا تستعيران مني كتبَ جُبْران،
هذا صلاح سالم يصافح أبي في افتتاحِ مدرسةِ الزيتون،
صارتْ قهوتّكَ باردةً،

هاتانِ مُدْيَتَانِ وذاكَ ظَهْرِي،
وذلك الذي يسيلُ على البلاطِ دَمِي.

امرأةٌ في معْطفِها الأبيضِ والشمسيةِ السوداء،
كان المطرُ خفيفاً لكنَّ شَعْرها تَنَدّى،
أسودُ على أبيضَ يمضي والشوارعُ خاليةٌ،
فناءُ المقهى مرشوشٌ بفعلِ اللهِ والأشجارُ مغسولةٌ،
أسودُ على أبيضَ يمضي وقطراتٌ تسقط على قصيدةِ بابلَ،
وامرأةٌ تدلفُ:
شَعْرُها مُنَدّىً وقلبُها على أهبةِ البكاء.

كان المطارُ مزدحماً بالمسافرينَ،
ولكنني كنتُ أراكَ واقفاً كشجرةِ الكازوارينا،
لماذا لم تَقُلْ لي: رحلةً موفقةً؟

لماذا لم أقلْ لكَ: اربطْ حزامَ الأمان؟
اذهبْ من الشارع الخَلْفيّ فالعَسَسُ كثيرون،
لنفترقْ هنا ودَعْ لي اختيارَ الطريقِ بعينيّ المفتوحتينِ،
ليس أملي مقدَّساً لكنَّ عينيَّ خادعتان:
كانتا تهربانِ إليكَ وأنتَ واقفٌ كشجرةِ الكازوارينا،
عندما كان المطارُ مزدحماً بالمسافرينَ،
وليس هناك سِوَانا: وحيدَيْن.

يناير ١٩٨٩

جسدُ الفَرَاشة

غابةٌ تنحني لخطوةٍ،
وأزمنةٌ تُقبّل يديّ.
أنا كنتُ أعيش حبًّا كاملاً لا ينقصه سوى المحبوب،
وأنا كنتُ أعيش عمراً كاملاً لا تنقصه سوى الحياة،
ضَعِ النقصَيْن فوق بعضهما يا حبيبي.

هذه ليلةٌ من حواء،
سُيولٌ من النعيم تسقطُ على رأسِ رجلٍ حزين،
هل يتحداني الفرحُ؟
سأهزمه بقولي: أنا رجلٌ يموت بإسفِكْسيِا الحَنَان.

جسدٌ مشدودٌ كقوسٍ،
وفي الكونِ رَمْيَةٌ.

هل يتعرّى الناسوتُ أمام اللاهوت؟
قلتُ: بل يتعرَّى اللاهوت أمام الناسوت.
لماذا يغلبني جَسَدٌ نحيلٌ؟
هل لأنني عَبْدٌ؟

أنتَ بين مَنْزِلتَيْن،
وهذه مَعْصيتي بين يديكَ فاشربْها وتَرَنَّح،
آيتُكَ هي إثمي،
ومعراجُكَ حَلمتان كالحِليةِ الخضراء.
انزلْ قليلاً عن السماءِ الثامنة،
لكي أقولَ لكَ: امشِ بكفّيكِ على مكامني،
الجسدُ الدقيقُ بيانو.

كنتَ أعلى من أن أضعَ أصابعي على بطنكَ المقدّسة،
وأخَفَّ من أن تهبطَ عليكَ فَراشةٌ.
سامِحني يا عِجلَ أبيس.

الخَضْرُ قُزَحٌ فأَدِرْ هذه السماءَ قليلاً إلى فوقَ،
حتى أرى جمالي بين طائرَيْكَ مُدْرِكاً ذاتَه.
زَغَبٌ حول سُرَّةٍ أم قطيفةُ الرحمن؟
أين الشَّعرُ المُبْيَضُّ على بطنِكَ الذي تحدَّثتَ عنه في
«البائيِّةِ والحائيّ»؟
ليس على جِلدِكَ غيرُ لَيْلَكة،
وليس بين شفتيكَ إلا أنبياءٌ يرضعون.

.

فبرايرُ المدهشُ يقول لي:
لا أيامَ عندي سوى تلك التي صنعتْها حجرةٌ صغيرةٌ.
ليس فيها غيرُ كتابٍ وطائرينَ على عُنُقي،
طيِّرْ واكتُبْ.

. . .

يتغيَّرُ الأبيضُ ليصبحَ الأبيضَ،
أتعرفُ أن الأبيضَ تسعونَ خَليّةً؟

وأن من أسماء شهيقي: الأبيضَ؟
الأبيضُ: الأسِرَّةُ والكُريّات.

رقيقٌ كَحَبَّةِ العنب،
حسَّاسٌ كالأشعّةِ فوق البنفسجيةِ،
ودافقٌ كالأورْطي،
كيف يلمسُ الريفيّون كهرباءَ نازفةً؟
ناما يا أرنبيَّ على صغيري،
وخذني يا جبريلُ إلى بدايةٍ.

هو الفراشةُ ولا ضوءَ لي.

أناملُ الفتى الشماليّ صَفٌّ جَرَّاحينَ،
عريانةٌ تَشُدُّ في هلاكها الملائكيّ مُوحِيةً بنزيف الرئاتِ.
لنا أُفُقٌ مَقْصوصٌ على مَقَاسِ مَجْدَيْنِ صغيرَيْن.
أرى فراشةً تنزُّ فراشةً،

وحولها صغارُ فراشةٍ يلدونَ صِغارَ فراشةٍ،
وتحتها فراشةٌ تلتوي طالبةً فراشةً.

وردةٌ تنتفضُ في لمسةٍ،
تحيطها غيمةٌ من نَديفٍ بَشَريٍّ،
تنضو قميصهَا القطنيّ وتعلو.
سأكون السُّليمانيّةَ التي يطوف فحيحُها أرضَ المرْسلَين،
خذِ الغُنجَ الذي نعَّمْتهُ لكَ،
خذ البَدَنَ المعمدانيَّ.
أزِحْ قليلاً هذه الأفاعي البريئةَ عن شفتيَّ،
وانتبهْ يا خليلُ: هذه سالومي تحت إبطي.

ضَعْ عمودَ النارِ بين برتقالتيْن،
ليصبحَ المشهدُ: نخلةً وطرْحتيْنِ من بلحٍ،
والمناخُ: بيوتَ أنثى وأنثى البيوت،

ضعْ عمودَ النارِ بين برتقالتيْن:
هل تلصَّصَ علينا مرّةً عدلي رزق الله؟

فبرايرُ المدهشُ يقول لي: أنتَ المُحَلَّى بموتٍ ممتعٍ،
أوراقي تسقَطُ يا آدمُ وأعضائي في عليِّين.

- كيف يكونُ بَدَني مُبَشّراً؟
- بالجنون.

كنتُ ظمآنةً وكنتَ بي رحيماً،
كلُّهم عابرونَ،
وأنتَ المقيمُ في أعشاشِ حَلْمتيَّ يا بَطْرِيقُ.
هاتِ النايَ على مائي،
وهاتِ البياضَ جنبَ ساقيتي،
أنتَ الذي من أجله أغادرُ الدلتا إلى دلتا أعضائي.

يطير في فراغ بَهْو،
ليس تمسكه أناملُ المغرمين،
تُسَيّجُه الدهشةُ الآدميةُ وتصطاده اللغةُ،
لكنه يرُوغُ في لطائفهِ ثم تلتقطه الشفتانِ:
بين دفتي كتابٍ أو في وسادةٍ،
فُيسمّي مَسَّتي: بَيْرَقَ المعْنَى.
أسنانُكَ غائرةٌ بظَهري،
وخلفَكَ إخناتونُ يُمسكُ مروحةً،
ويُسَيّرُ الطوابيرَ سَكْرَى،
بينما خَتْمُه يتدحرجُ.

.

ارسمْ على سُرَّتي وردةً وشُمَّها،
واكتبْ على كَعْبيَّ نصوصاً مُسْنَدية وتُهْ في انحناءاتها.
ليست بلقيسُ اسماً من أسماءِ إشارتي،
هنا العَرْشُ فانظرْ:
بين ناهضيَّ هُدهدٌ مذبوحٌ ودماءُ أَسْرى،
والنحتُ يقول: اختلطتْ أنشوطةٌ بفأسٍ.

- كيف أصيرُ خالقةً؟

- بالمشيِ على لحمِ الشعراء.

فمٌ في فم: مستفعلن في فاعلاتن،

وصِدّيتونَ حول مبعوث:

ملكوتُهم ريق المُتيّمينَ، وموتُهم شَفَاعةٌ.

أشجارٌ ملوَّنةٌ،

ناسٌ بَشُوشُونَ،

شَرائكُ مصنوعةٌ من ضلوعِ المُوَحّدِينَ،

رجلٌ يرى نفسهَ شقيقَ المَوَدَّة،

دمٌ يَخْضَرُّ كلَّ أمسية ويَرْقىَ إلى كُرْسِيه المحفوفِ بهاويةٍ،

هذا، إذن، قفصُ الأنثى.

الصدورُ مشقوقةٌ،

كان الحسينُ يتطوَّحُ،

وخمسةُ حروفٍ من خطابهِ على فَرَاشتي الداخليّةِ،

تجسُّني.

وأنا أصرخُ : يا أمُّ زِيدي.

عُمرٌ من النثر مضى،

وعمرٌ من الشّعر يُقبلُ،

صُفَّ الهناءاتِ واحدةً جنبَ واحدةٍ.

وطيّرْها في فضاءِ الشرقِ حينما يتطابقُ البدنانِ،

وانسَهَا مُعَلَّقَةً.

- كيف يكون جسمي موسيقيّاً؟

- بطُغيانهِ عَليَّ.

عيناي أعلىَ من ثمانينات مصرَ،
وشهقتي تحت ساعديكَ تعني: انحرِفْ.
هذه وردةُ الفرعونِ،
هذا فرعونُ الوردةِ،
هو الليلُ خائفٌ، هو النهارُ لِصٌّ،
أنا الطيّبُ الدُّنيويُّ،
أنا الطيّبةُ المتآمرةُ،
تمرقُ فُلفُلةُ الصَّبايا على لساني عَلَقةً.

من لمسة يحترق الطائرانِ،
خيوطُ قَزٍّ على بطنِ فتىً ساحليٍّ،
وبراءاتٌ أبجدية على نَحْرِ سَيّدةٍ مُسَيَّدَةٍ،
دودةُ الكهّانِ تأكل القلبَ،
وتتغلُ تحت الأرائكِ المُنَدّاةِ بالرحيق،
الطائرانِ توأما حَدْسٍ.

يقول عن نفسه: إنه المنحولُ،

وأقول عنه: إنه الشِّصُّ الذي شَدَّني من دمي عامَيْن،

ثم ألقاني على أحمرِه المُقَطَّر،

واستراحَ بين ساعديّ: يقرأَ.

هما: لوتسُ،

سِلكٌ ساخنٌ يحُفُّ في بطنِ الحياةِ،

ويتوارى كالوحي،

منحتَ الحريةَ لبدني،

منحتَ بدني للحرية،

وكبَّلْتَني بفضائِكَ المفلوت.

فبراير ١٩٨٩

صَبَاحُها وصَبَاحي

كلُّ دقيقةٍ بخطوةٍ نحوي،
وكلُّ خطوةٍ نحوي حقبةٌ من صَحْوةِ النّفْسِ،
وكلُّ حقبةٍ من صحوةِ النفس:
شهادةٌ لأقدامٍ عامرةٍ مُصَعَّدَةٍ
تمشي على ذاكرتي بكبريتها،
وتُشعِلُ الأقصَى.

دقّتُها في الصباحِ على بابي هبَةٌ لبَدءِ النهارِ،
وجَدَارةٌ لشمسِ الحَيّ.

هذه الجميلةُ أختي،
انظرْ إلى خَصْرِها المصبُوب من ثُقْبِ إبرةٍ.
أنا التي ربّيتُها ولقّنتُها الصّبَواتِ،

حدّثْها عن التروبادور والزُّنُوجةِ وخذْها إلى مَجْرَى العيون،
لا تنزعجْ إذا قبّلتُ يديها كلَّ لحظة،
أو قلتُ لها أمامَ مجلسِ الآباء: يا نُوسةً يا ضحيَّةُ،
هل هي وردةٌ؟
أنا أختُ الوردة.

كنتُ في وَكالةِ الغوري وحيدةً،
أنتَ الهوائيُّ وقلبي أَزَلٌ يُنَوِّعُ شَكْلَه الليليَّ،
كلُّ لوحةٍ إشارةٌ إليكَ تجري،
وزفرتي دُهورٌ من شهوةٍ مُصفّاة،
وأنصافٌ تبحث عن كمائلها صائحةً:
يا هوى يا فخٌّ، يا فخٌّ يا هوىَ.

تروحُ في غيبوبةٍ كلما حدَّثتُها عن خُطوطِ كَفِّيَّ،
أرزٌ أنثويٌّ مَسَّ شَعرَ صدري،
فتذكرتُ طابورَ الصباحِ والفَرَحَ المدرسيَّ،

كان نَبْعُها الدائريُّ في معصمي حينما قالت:
أنا لم أحزنْ كما ينبغي على إبراهيم الكرداوي.

لماذا اضطربتَ يا حبيبي؟
بائعُ الفُلّ يسألني:
أين النحيلُ الذي كان يلتقط الأبيضَ
وهو يفضحُ سِرَّ مَسَرّةٍ؟
أنتَ متوحشٌ،
وأنا عندكَ أنتشي: لي وللمؤنثاتِ في الأُرض.

كفّايَ ساخنتان؟
هذا مرضٌ قديمٌ يعاودني كلما تكهربَ النخلُ.

أنتِ سلطانةٌ صغيرةٌ،
وعمري كرسيُّكِ المطعّمُ بشقائقِ الراغبينَ،
عيناكِ تشبهانِ عينيّ،
فاقرأي خطاب محمد الفقيه صالح لتعرفي كم تعرّتْ روحي،

وكم انتظرتُ أبيضَيْكِ يقوّمانِ اختلال أخباري،
«ليس إرثنا مسبوقاً بوصية»،
فاشرحي للنازحينَ عَدْلَكَ البسيطَ،
واختبئي في قميصِ أمّي من الضّالين.
فَسْتُقْتَاكِ سُلْطةٌ.

كأنه يحدِّثُ عنا حينما قال:
«في ظُلُمَاتنا ما من مكانٍ للجمال، المكانُ كُلُّه للجمال»
كأنه رآكِ حينما كَتَبَ:
«العيونُ الجميلةُ المحروقةُ تُتَمّمُ العَطاء».
اليماماتُ بنتُ عينيكِ الفاتحتينِ في الضوءِ،
نقّرتْ يديكِ المصنوعتينِ لإلهامِ المُعْوَزِينَ،
ارحمِ الصباحَ يا حبيبي،
وقلْ لي: لماذا اختلجتْ رئتاكَ في القلعة؟
«الأسوأ كان قد مضى» قبلَ أن تبكي بلحظتين.

أمينةُ النقاش قالت لي:
أنتِ مشرقةٌ هذا المساء،
قلتُ: بين أعطافي سراجٌ سَكَندريٌّ،
وأمامي ثلاثون عاماً تقول لي: هيتَ لك.

أشتَري مجازَكَ الخَطّافَ بحياتكَ المخطوفةِ،
أبيعُ فرحتي التي لقّطتُها نتفةً نتفةً طوال
خمسةٍ وثلاثينَ عاما،
نظيرَ سؤالكَ الطفوليّ:
لماذا الكونُ ليس جميلاً
كما رسمهَ لنا مدرّسُ الأشغالِ
في المدرسةِ الابتدائية؟

أنتَ متوحشٌ،
لماذا تغنّي أمامي «عندما يأتي المساء»؟
وأنت تعلم أن جَسدي مضبوطٌ على نظرتكَ العابرة،

مديرةُ الدارِ سألتني: هل تحبين الخريفيَّ؟
أجبتُ: شمسٌ صريحةٌ،
ودورةٌ دمويةٌ،
طبيعةٌ بنهرٍ وأشجارٍ وزَلزلةٍ،
هواءٌ يشمُّه المُسْتَرْوِحونَ،
قالت: اذهبي آمِنةً.

ماذا نُسَمّي كلَّ ذلك الذي اندلع؟
ليس في قُدرتي أن أُبعِدَ الدمَ عن يمامةٍ؟
فانفردْ بنفسكَ يا رضا.
أقيسُ الحياةَ بكَ:
إذا عادَلَتكَ فهي حياةٌ جَديرةٌ،
أقيسُ الشعراءَ بكَ:
إذا كتبوا «جسدَ الفراشةِ» فهم خَلاّقون،
ما هذا المأزقُ الذي أوقعتَني فيه يا سيدي؟

كيف، إذن، سأرى هَجرَكَ جسدي مشرداً
بين يديكَ في صحراءِ الفرَحِ؟

أنتَ متوحشٌ ولكنْ قُلْ لي:
كيف تصلُ امرأةٌ إلى خُلاصةِ النّشْواتِ من جُمْلةٍ اسميةٍ؟

أنتَ خُمُسُ إله،
كلّ صباحٍ يكلّمني نهدايَ: متى يَلْمَسُنا الخفيفُ؟
كلُّ مساءٍ يكلمني نهدايَ: متى يَرْشُفُنا الشيوعيُّ؟

نُسمّيه ذَبْحاً،
جميعهم وصفوني بما أهوى،
واحدٌ قال: أنتِ مطرٌ صيفيٌّ،
وواحدٌ قال: أنتِ زهرةُ الحنّاء،
أنتَ وحدَكَ الذي قلتَ: أنتِ طائرُ الفينيق،

فخَطفتَني من أُلْفَةِ الواصفينَ،
يا مُبصِري: لكَ وحدكَ انتزعتُ نفسي من رمادي
وحَلّقتُ فوق جَبينكَ المحروقِ مبعوثةً.

لا تقلْ لي شعراً من أحمد عبد المعطي حجازي،
ولا تحدّثني عن البُعد الطبقيّ في رواياتِ ماركيز،
أعطِني سبعةَ صباحاتٍ أصحو فيها على وجهكَ الريفيّ:
وخذْ كتبي وساعتي وبيتي وروايتي
وصفحتي في الجريدةِ وأختي نوسةَ والجزائرَ،
أنا التي لم يكنْ لها قبلَ يديكَ بَحْرانِ.

هذه ارتجاجاتُ النطفةِ الأولية، وذاك ميثاقُ البدائيينَ،
ليس الزمانُ خَصْماً يا مهندسُ
فنحن حواريُّوه العُزّلُ،
اخرجْ من عينيكَ لتراني:
أنا خَمْسُ عشرةَ سنةً مَعْدُولةً.

لم يصافحْكَ أحدٌ يا حبيبي فلا يدَ للآخرين،
كل الأيادي منسوخةٌ في يديَّ وفقاً لآتون،
وأنتَ لم تصافحْ أحداً يا حبيبي،
لأن كفّيكَ هنا تَسْندانِ ضلوعي.
أنا المارّةُ والمحنّكونَ والقادمونَ من بلادهم لبلادي،
لستُ أنطلقُ بل يُدفعُ بي إلى مصيري،
هل أَدُلُّكَ على طريقةٍ تقهرُ بها صوتي؟
فقط: رُقَّ.

استرحْ ياَ صفيُّ:
لا صباحَ ثمةَ،
ولا يَمَنِيَّ ثمةَ،
ولا ينبغي ثمةَ،
ليس هناك سوى امرأةٍ تنتظر صِهْرَها الطَّقْسَ.
كفّاي ساخنتان؟
هذه حُمَّى موسميةٌ تنتابني كلما رأيتُ الذخائرَ الغُفَّلَ.

إنني أمشي على الجنوب مَرَحاً:
أخرقُ الأرضَ وأبلغُ الجبالَ طولا،
قال لي صاحبي: أخشى عليكَ فتنةَ الجَميلينَ،
قلتُ: هذه شرارةٌ نافيةٌ للنوعِ،
فلا الفتى مسلوبٌ ولا الفتاةُ سَلاّبةٌ،
تأملِ الحريةَ فوق بنصري،
أنا خالُ الصبا وشهوةُ الأنثى أُسْرتي،
ضَاهِني بالأرضِ والجبالِ،
ولا تَخَفْ عليّ من جنوني.

سيدةٌ صغيرةٌ،
تجلسُ وحيدةً في رُكنٍ،
تصنع مجدَها الصغيرَ،
تصنعُني.
كان اللاتينيُّ يَسْرِق جُملتي حينما صرخَ:
أشهدُ أنني قد عِشتُ.

أبريل ١٩٨٩

صِبْوَةُ القُقْنُس

يتركُ وعَلّ معطفةَ فوق قوارير اللهجات/ ويمضي صوبَ ليالٍ جاحظةٍ وحوائطَ/ هاتيكَ الدقّاتُ معذّبةٌ/ يرسم أشجاراً بالليمونِ وأفخاذاً بقناديلَ/ استلقتْ عاشقةٌ خاسرةٌ فوق شرائحها وأضاءت عُزلتَها بالتابوتِ المشبوك إلى ناصيةِ الشهقاتِ/ أنينُكَ بالهاتف وهّاجٌ/ هل يلجُ إلى الدهليز الشخصانِ؟/ ينام الحمّالونَ على الزئبقِ في مفترقات المدنِ/ النصرُ يفرّخُ مهزومينَ/ امرأةٌ تمشي في سَعَفٍ ليليٍّ ترقب موقعهَا الزّلِقَ جوارَ مصوغات الأُسَرِ الحاكمةِ/ تنادي للنادل كي يحملَ عنها الموتَ/ تلصّص شرطيٌّ من نافذةٍ/ عُودُكَ رَنّانٌ يا سيدَ داري/ مكنونونَ/ هنا طيرٌ موسيقيٌّ يَضْربُ في دمه لكن المرأةَ ظلّت في الردهات تلاحظ حركةَ طبقاتِ الفقراء/ بَهَاءاتٌ/ تبكي من حلمٍ أَخذَ أخاها للظلماتِ وترصدُ ترتيبات العَسْكرِ في ساحةِ جارتها المقتولةِ/

ثم تنام على إسفنجٍ يتلقبُ/ ويداخلها في منتصفِ الهَوَسِ
كلام:
«هل رششتَ جسدي بالصَّندلِ ومسحتَه بأصابعكَ في الليلةِ
الأخيرة؟
لا أطلبُ أكثرَ من أن تكونَ لي لأكونَ أنا لنفسي.
عدتُ من المستشفى، قرَّر الطبيبُ أن الورمَ ليس خطيراً».

.

أيلولٌ يهاجم بَنَّائي الأسوارِ وأفئدةً/ جَمْرٌ/ ويخلخلُ أبواب المرأةِ بحنانِ الشَّمع/ هنالك عُرْسٌ يأخذ شكلَ المقبرةِ ويحترقُ/ يحقُّ لجسدي أن يستكشفَ تصفيةَ الروح/ أراني منتهَكاً بالخَدّ/ اسمعْ يا خَصمُ الدمدمةَ وفسّرْ لي: / جيشٌ من عَسلٍ يجري تحت الأغطيةِ وجبروتٌ يتجرَّدُ من سروالِ الجبروتِ/ أنا نُوريٌّ/ خوفو ليس الشيطانَ الأخرسَ/ حادثةٌ/ يرقبني حين وضعتُ حياتي في جعبةِ زوبعةٍ شقَّتْ قَرْنَ الجوعى/ قال: الباءُ/ عصورٌ خلف الشجرةِ مجهدَةٌ/ تلك القطةُ تنتفض من الآبار المكتومة/ خطفوا السيدةَ من

العُرس النوبيِّ/ قواميسُ مهجَّنةٌ ستجفُّ/ العجلاتُ الحربيةُ فاسدةٌ/ هل كنتِ الصيغةَ بين الغزلانِ وسورةِ يوسفَ؟/ ناموسٌ بشريٌّ يصحو في حقويْن/ تباركَ طقسٌ/ ضَعْ صورتَكَ الفوتوغرافيةَ فوق السُّرةِ كي يكتملَ المعبدُ/ هذان القُرطان مَحُوطانِ بنشّابٍ / لا تتركْ بالبيتِ مواثيقَ التنظيم/ فقيهٌ قال: يُسمَّى مسكَ الليلِ/ الحاقةُ/ صوتُ مغنيةٍ يتزلزلُ في سفحٍ فرعونيّ وأصابعُ بأصابعَ/ نقطُ الماء السائبِ في شعرِ عليٍّ/ هل يَلِجُ إلى الدهليز الشخصان؟/ تمائمُ خلفَ الأحجار تقول: الشرقُ ابنُ مواجدنا الصغرى والعالمُ نعتٌ لاثنين يصونان الإثم من الشائبةِ/ أنا جسدٌ عَدْلٌ/ والهاجسُ يأتيني حين يصير الأبيضُ في الأسودِ مكتملاً بقراءاتٍ تسعٍ:

«وأعجبُ الأيام يومي، فإني أنزفُ دماً من آلام
قلبي. وعندما يصل عُمري إلى آخر زفرةٍ،
أرفرفُ بجناحيَّ إلى الإمامِ والخلف، وتتطايرُ
النارُ من جناحيّ، وسرعان ما تسقط النارُ في

الحطبِ، فيحترق حطبي وأنا في قمة السرور،
وأصبح أنا والحطبُ جمرةً من نارٍ، ثم تتحول
الجمرةُ بعد ذلك إلى رمادٍ، وما أن يختفي كل شيء،
حتى أخرجَ أنا القُقْنسُ من الرماد».

شجرٌ/ يقرأُ رجلٌ نصَّاً وهو يصبُّ دماءً في شَرَكٍ من حناء/ بين يديّ أنوثاتٌ يستثنيها الشعراءُ من اللغة/ السيدةُ تبخُّ غموضاً مفكوكَ المعنى فوق مقالات الصحفيين/ عَفيٌّ/ شجرٌ يدخل شجراً/ يلجُّ إلى الدهليز الشخصان/ فتاةٌ تصنع «رائحةَ اللحظات» وتذروها فوق الجبل/ ترابٌ تحت القدمين تقبّله الملكاتُ/ مَحَكٌّ/ يدُ صبيانٍ تبتكرُ الوطنَ من المقلاع/ أنا المُترعُ/ شجرٌ يدخل شجراً مسلوخاً من شجرٍ/ هاتان مهاتان تفلّتتا من حَسَنٍ/ تغدو القاهرةُ خضوعاً ليَ/ تهوي في الحلق مبانٍ شاهقةٌ/ تنشغلُ امرأةٌ بمكانٍ أم ينشغلُ مكانٌ

بامرأة/ فوق النحر نبيذٌ مسكوتٌ عنه/ هزائمُنا في الصبح
تفرّخُ منتصرينَ/ مصائرُ/ فَرَحي يشبه كاوتشوكاً محترقاً
يتصدى للآليات/ تقول ببطء: مشهدُ جنسِ الغابةِ كان
مجازياً لكنَّ الوَلَهَ قديمٌ/ تُقْبِلُ في أشرطةِ التاريخ العربي
وفي أوسمةِ الرملِ/ الدهليزُ هو الشخصانِ/ خراجيّون/
فقيهٌ قال: هي الدهشةُ فتواصوا بالباء/ خرُوجيّون/ تخبَّلتُ
فلا تبحثْ عن أعضائي/ الوقتُ على كفيَّ وزلزلةُ الأمصارِ
مقدّمةٌ لظهوري/ لكَ ثرواتٌ لا تنهبها إلا قدماكَ الخالدتانِ/
قسنطينةُ طائشةٌ عسَلٌ في سُرَّات مذكوراتٍ/ والقلبُ كَوّتُه
الأشواقُ إلى زَنْدين/ هنا الأوطانُ بمقصلةٍ/ وهنا اللحظاتُ
برائحةٍ/ والسيدةُ التقطتْ سيّدها ورَمتْه إلى أفرانِ الملكوت/
وفي زنزانتها اعترفتْ:

«اشتقتُ لكَ وللقاهرة.

لم يقل لي البحرُ قصيدةً لكنه كان غطاءً لدخولك إلى أعماقي.

أنا التي كنتُ معكَ ليلةَ فيروز. هل لأنني أجملُ امرأةٍ؟

لا تدفعني للغربةِ مرةً أخرى.

صباحُ البدايات».

طيرٌ موسيقيٌّ يضربُ في دمهِ/ لكنّ المرأةَ تتخلّقُ من نُطفات مخطوفاتٍ/ تبكي من حلمٍ أخذ أخاها للظلمات/ أساورٌ من ذهبٍ/ مفتاحُ النيل يقوم من الغفوةِ/ ضَعْ شعرَكَ بين الساقين/ البسطاءُ على باءاتٍ ينتظرون/ ورجلٌ يحفرُ في أرصفةِ الطرقاتِ: أنا من ميدانِ التحريرِ أجيء.

نوفمبر - ديسمبر ١٩٨٩

اللَّيْلَكِيُّ

صدري والصَّدْعُ فضاءانِ.

بَرَاحاتٌ صامتةٌ تترامى تحت الإبطين،

وتلك فلائكُ نوتيّينَ تحطُّ حمولتَها الممنوعةَ في موسيقاي،

فخذني إن سمحتْ أنفاسُكَ للشَّطّ،

انحزنا للمخُضْرَّينَ وفُتحتْ ترساناتٌ للماعزِ،

دخلتْ رافلةٌ كوخاً وهي مؤهلةٌ للتشريح:

استلقت فوق طنافسَ تصنعها الأخْيِلةُ،

شرابُ شعيرٍ سالَ من الكتفينِ،

أتاها رجلٌ من نَفَسٍ فبكتْ حين انغلقَ الكوخُ على

ظلماتِ الكبشِ ونامت في ترجمةٍ.

باءُ البلشونِ امتزجتْ من سنواتٍ خمسٍ في بائي،

هل تلمح ساقيَّ تسوخان ببطءٍ في التّيه؟

وراءكَ كان رخامُ التوحيديين يعلّيني ويبدّدُ بدني في المسرح،

وأنا أُلقي رُسغيَّ جوارَ القدمين وأفخرُ بالنار.
مُعلّمتي تقرنني بالجعُرانيّاتِ وتنعتني بالمقصوصةِ:
فَرْعي طَلَّقٌ،
وهنالكَ عينا الأسدِ موازيتانِ لقُرطي،
لكنَّ الكادرَ أضيقُ من قفزٍ.

* * *

يريدكَ الليلكيُّ/ كان هيكلُ السدّ العالي جزءاً من شفتين/ لماذا تسيرين كلَّ هذه الفراسخ دون شدَّادةِ النهدين؟ كتبتْ: هل طلبني الليلكيُّ في هذه الساعةِ: الحاديةِ عشرة من ضحى ٢٧ مارس ١٩٩٠؟ / جاءت التي تدعوني إلى قصيّها مفلوتةً كساهراتٍ/ قيظٌ/ أنا لكَ لبؤةٌ/ نهرُكَ أنتَ أم هصيرُ حنطة؟/ يُعيد الشّعرُ إنتاجَ المحبَّةِ وأنت تلقطين باللسان الليلكيَّ/ هذا وئامُ المخيَّرينَ/ انتعشْ يا فهدُ/ حينما تدخل قبرَ الأغا خان تذكَّرْ شهقتي/ تحدَّثَ فتيةٌ عن التغيراتِ في المعسكر الشرقي بينما كنتُ أقرأ الجُملةَ الوحيدةَ في رسالة: شمسُ أسوانَ خادمةٌ/ سلالٌ مليئةٌ بالمستقبلاتِ/ جبلُ

الجرانيت انشقّ/ أنتَ مزدوجٌ كمصرَ ومشدوخٌ كخزانٍ/أشارَ عاشقٌ إلى بُنياتِ المقهى فسألني نوبيٌّ: هل تزوجتَ جميلة؟/ سُرَّتُكِ محفورةٌ على جدران معبدِ فيلة/ هذه غرفةُ الخمر السنويّ وهاتانِ تفاحتاك عاريتان في ظلمة تشعل الأطرافَ بالصَّاد/ بلحٌ يجفُّ في ظهيرةٍ/ عشرونَ نسخةً أصليةً من جسمك النحيلِ تحمل سقفَ المعبدِ الآيل/ والثعبانُ يسعى/ جيلٌ واحدٌ وأحلامٌ عديدةٌ/ خلف صالةِ الكهّانِ قالت حيةٌ لحيّي: عُودُكَ رَنَّانٌ يا صانعَ الجثمانِ/ كان رأسُ بستان الاشتراكيين يثمر تينةً مضروبةً حينما كنتُ أرقب عابرةً تقول لعابرٍ: أنا كلبتُكَ المَسَقيّةُ/ يا كرْنكيُّ ما زال العالمُ مِلكا لغمْزتينِ/ وإيزيسُ أحلى أسمائي/ خذِ القمحَ إلى المعوّقين وأعطني سنبلةً أغطي بها فَرْجي.

* * *

سَنُطٌ فوق الخَصرِ ومئذنةٌ بمساواةِ جفوني،

للمختاراتِ المختارونَ وهذان النهدانِ يقودانِ الأبرارَ إلى قادشَ،

كيف سأفلتُ من زَنديَّ؟

السَاعةُ سوطٌ والهكسوسيّون يشجّون الجسرَ،

فمن سأسلّمه الأسرارَ المخزونةَ تحت الكتّان المخطوطِ؟

أنا الاثنانِ من الواحدِ لكنَّ المنتزهات محاصرةٌ باليرقاتِ.

استندوا فوق أوانيَّ وخَدَعُوني بالرايةِ،

باتوا منتعشينَ فحرّرتُ الياقوت من الياقوتِ وبَيَّنتُ القلعة،

قدماي على صخرٍ وطمأنيناتٌ زائفةٌ في الحَلَق،

انظرْ للظلّ يقسّم وجهي والمذياعُ يبثُّ السقطةَ،

كيف سأخطو من مملكتي للملكوتِ؟

المرأة تفشي معصمَها المنقوعَ بروح الخَلّ وتنهض بين الثكناتِ

مكلّلةً بكتابِ الموتى،

والمختارةُ ماشيةٌ بوظائفِ أعضاءِ رعاياها المختارينَ،

فكيف سأصعدُ من رهبوتي للراهبِ؟

أشهد ضباطاً منتشرين على الأعناق يصدُّون البيتَ عن البيتِ،

وفي آخر قنطرةٍ تَسقُطُ سيدةٌ فوق المفصلِ،

ويخرُّ التركيبُ المتقَنُ بخراباتٍ متقَنةٍ.

* * *

يحمل الطميُ حلمَ المتعبينَ/ قُربَ الصوامع قالت: ريقُه الصباحيُّ لي/ عثراتُ العمر غَلابةٌ / هذا قميصُ أختي الصغيرةِ وذاكَ الذي تحت حاجبيكَ ضَنَا المغادرينَ/ كيف أجبتَ على سؤال النوبيّ؟/ خَلّ الوردةَ سرّية/ أنا أنا أنا/ ليس على لحمي ملابسٌ داخليةٌ/ مصرُ التي في خاطري/ صديقاتي يقلن لي: اشتري الليلكيَّ بالفضائحِ المقدّسات/ سوف ترقصين في استقبالِ الرفاقِ الخارجينَ من طُرةٍ/ أنتَ أنتَ/ علماءُ وعمالٌ/ أناديكَ وهذا يكفي لأن أموتَ/ غرغرينةٌ تأكل البلادَ/ فُضَّ/ ليس على القتلى حَرَجٌ/ هل الشهوةُ تعني المبايعةَ؟/ أنا المسوقةُ إلى الليلكيّ/ أَنَتَرُكُهُم يغصبونَ العروبةَ؟/ أغدو بحريتي على عتباته/ مجدَ الأبوّةِ والسؤددا/ له جنائزي والإراداتُ والزورقُ/ فليسوا بغير صليلِ السيوف/ سُلّطانُهُ سُلّطاني وتمساحُهُ على البوابات/ يجيبون صوتاً لنا أو صدى/ اقرأ المحفورَ على نُصبِ الصداقة ستجد الحرفينِ من البائيّةِ والحائيّ شاهقَينِ/ مملوءةٌ أنا بصَبْوةِ القُقْنُسِ امتلاءَ الأثرياء/ انظرْ إلى الجميلاتِ واطلبْني/ أهلاً بالمعاركِ/ صرتَ تدخلني

كأنكَ تموت بعد فَحّة/ أسطورتان/ وصرتُ أنفردُ على بطني
كأني فكرةٌ مقوَّسةٌ/ أنا المثنَّى والموتى وحيدون/ الغرغرينةُ
التي تفشو في عروقي تجهّز القربان/ فلنخبّئ الوثيقةَ عن
عيونِ العاطلين/ بالأحضانِ يا مزارعُ/ هذه هي البحيرةُ التي
تمنتها الطفولاتُ/ يأتيني الهوى الذي ارتقبتهُ ثلاثينَ عاماً
وثمانيةً/ عَدَّى النهارُ/ قابلتُ سيدةً تقول لسيد: لماذا أبلغتَ
عن ثلاثينَ شهيداً ثم صببتَ في جوفكَ الكونياكَ باكياً؟/
يريدكِ الليلكيُّ/ لنا عند محمدٍ شايانِ/ راح فجرٌ يؤذّن في
الناس حينما كنتُ أؤذّن في فَذّةٍ/ جيلٌ واحدٌ وأحلامٌ عديدةٌ/
سوف أقرأ لك «طائر الرذاذ» ونحن مخلوطان في عَلَقَةٍ/
تماثيلُ رخاميّةٌ وأوبرا على ترعات نجعي/ أيقظي الليلكيّ
بإصبعِ القدم واستريحي ساعةً من خياناتِ الأحبّة/ بيرقٌ/
نَدَاكِ ما زال في حلقي ولسنا أصحابَ مشأمةٍ.

* * *

مُبْتلٌ هذا السيمافورُ بزيتِ اللقطاءِ،
وكان مثلثُ فخذيّ كليمَ اللوتس والشفتان مشقّقتين بأملاحِ الفرقاء،
النظّارةُ غامقةٌ فيما وهجُ المرمرِ أُسّيٌّ يخمشُ ظني بالرغباتِ،
أنا آتيةٌ من ذاهبةٍ والسفاحونَ سواسيةٌ،
فطَفَتْ حَلَماتٌ فوق مساراتِ اللقلق مستيقظةً،
قاربتِ الطفلةُ كتفيَّ فظلَّ التابلُ مرشوشاً بين الرُّكبةِ والحَوْضِ،
أنا الملتَهِمَةُ لكنّ صدري والصدعَ فضاءان مضاءانِ،
لماذا ترمقُ حُمُّصَةً غائصةً في صَحْنٍ مَجْلُوّ؟
أنتِ مهدّدةٌ بالكاتدرائيات من الخلف وبالزعماء من الواجهةِ،
فمن يتكئُ على الصّلّ سوايَ ويستخرجُ كوثرةً داثرةً من حلمٍ أجَّرَه الفصحاءُ لمرحلةٍ؟

هائي تنفصلُ الليلة عن هاءات النحويّينَ وتتحدُ بهاءاتِ المَحْوِ،

فخذني للشّطّ إذا سمحتْ أنفاسُكَ يا نوتيُّ وساومْني:

قائمةُ تحاريقِ الوادي منكَ ونسرُ الشرفةِ مني،

العسسُ غراميّون وصاحبتي تعرف سرّي،

هل كنتِ محرَّمةً في الطُّرقات ومعلَنةً في الملجأ؟

تنفجر عروشُ الصيفِ مطيَّبةً بلُعابِ الفلاحينَ،

فماذا حَجَبَ عن الكادر سائقَ قاطرةِ الثورة؟

أوصي أختَكِ بي ودعيها تكشفُ للحرسِ السابقِ أن المختارةَ للمختارِ

وفي الأرض مصائرُ طارئةٌ.

قَدُّكِ في الناشنكاه جميلٌ،

هل كان جواسيسُ السلطةِ مُدَّرعينَ برأسِ الغليونِ؟

اطلعْ: تضربُ ريحٌ راغبةٌ جلبابي،

يلتصقُ القطنُ بحُمصتيَّ فألمحكَ على الأسلاكِ ترشّحُ

نفسَكَ للطيرانِ،

فأين ستكتبُ أن المرأةَ والنهرَ بغير الشعراءِ

شهادةُ زورٍ فوق العجلاتِ الطائشةِ؟

أنا ذاهبةٌ من آتيةٍ،

والمركبُ مثقلةٌ بطحينٍ مَشْموم.

مايو - أغسطس ١٩٩٠

ارحمْ يَدِي يا نِصْفُ

حلم

الزخرفُ المخفوفُ بالأذُنينِ محتقِنٌ بأوجاعٍ مُعتّقَة،
خذي ميراثَ أمي:
شالَ فرحتها، خوانَ الدار، إبريقَ الليالي.
كان مخبأنا الصغيرُ مؤرّخاً للطمثِ يمنحك المناطقَ،
هل تركتِ قميصَكِ الصيفيّ مبتلاً
كما غمزَتْ أغاني المنشداتِ بعُرس أختي؟
والسماءُ تقمَّصتْ ذاتينِ،
هذا الأسودُ البشريُّ منفرطٌ على ورقِ المعاهدِ،
والخَضَارُ مُرَكَّزٌ في ميمه،
تغفو السجايا في المسافة بين حِصَّتها وثأري.
بينما تستيقظ الأهواءُ،

طيّبةٌ جراحاتُ التحيةِ طيّبٌ صفوُ المواقعِ،
طُفْ بها يا زورقَ الراءِ،
انخرطنا والكلامُ مضمَّنٌ في فجوةٍ:
لم يفترِعْني غيرُ أزرقَ،
لم تساومْني على روحي سوى نونٍ،
ونومُ المرهَقاتِ مُطَعَّمٌ بالعفو:
حُلمٌ/ حَلَمةٌ.

فهرس

تقفُ البدائياتُ قُربَ سفائن الشحن المُرام،
أتى الصدامُ المرتجى يا بنتُ،
دسَّت رأسها جنبَ الحقائقِ وهي تغلبُ فكرةً
رَفَّتْ على شَفةِ المؤرخِ،
كان رأسُ المالِ متَّسقاً مع العُنُقِ المنَزَّل،
صار جمرُ الكاشفاتِ خبيئهن محركاً للمُورياتِ
وجلدُ بنتي مرهَفاً بالكهرمانِ،
أنا وأنتِ مؤيّدانِ بمحنةٍ من صُنعِ بابِ النصرِ،
تقرأ سيداتٌ فهرسَ الموت:
المودَّةُ مُدْيةٌ،
سمَّانةُ السَّاقِ العُلوُّ،
لسانُ عاشقةٍ فُصوصٌ.

عندنا باتَ المصبُّ مفخَّخاً بالضارعاتِ،
وبيتُ أمي مائلاً يا المُشْتَرِينَ المنحلَ الخلفيَّ،
يمشي نحو معرفةِ الودائعِ طائعاً مثلَ المكلفِ بالجلاء،
هنا الدساتيرُ التي ما مسها أرقُ الرغائبِ يا نجيُّ
فهاكَ مملكةً:
عليكَ عقيدةُ السينية، الجسدُ الطليعةُ، عزلةُ
الملكاتِ، ميرامارُ، أقداحُ البهائيين، ظلٌّ كبائنِ
التجار، وجدُ اللائمينَ على الهوى، جدلُ الطبيعةِ،
يختُ فاروقَ المغادر، عُرْيُ عابدةٍ محرَّرة،
مساءلةُ الحداثةِ، قتلُ ديك الجنِّ، معجزةُ
النهوضِ من الرمادِ. شهيةُ المتنورينَ، الأمُّ.
يسعى في مناكبها الوصالُ المرتجى يا بنتُ، قولي:
ليس هذا الماسُ سِفراً، ثم قولي:
ليتَ أمي راقبتْ ميزانَ سكَّرِها المطفّفِ في الدماءِ
ولم تُضئْ.

نافذة

ذا مستطيلٌ،

مستوىً من لائقات للهلاكِ الدنيويّ،

شرائحُ البلُّوطِ صُفَّتْ خادعات:

تفضحُ الأبدانَ أفقياً،

وهذا الشكلُ انحكمتْ مغالقهُ فلاحتْ نارُنا الوسطى

وهبّ العسكريونَ،

ارتضى الحُرَّان مكرمةَ الدجى،

لكنَّ أنفاسَ المُسَاجَدَةِ انثنتْ نحو الصحارى

فاستنارت شارداتٌ،

ذي طلاءاتٌ تَسَاقَطُ بالحروفِ الأبجديةِ،

هل رطوبةُ فحَّتينِ؟

نوافذُ الأحياء موصَدَةٌ،

وليلُ الغابرينَ معلّقٌ فوق المشابكِ،

غيرَ أن الثغرةَ الصُغرى هنا في القلبِ:

تجعل طينةَ الشُّباكِ أشرعةً

وبصماتِ الأماسي جُرسَةً.

يصفو زجاجٌ ظَلَّ يخدمنا ككلبٍ:

يأخذُ العتماتِ من فمنا ويعطينا الذبائحَ،

شَرخُه يُلقي على الردفِ الأشعةَ

ثم يحشدُ في الخَفَاء أراذلَ الحيّ،

المقابضُ دافئاتٌ عكسَ ما يحكي جَمَالُ،

وتلتوي مطواعةً

فتصير أنثى مثلَ أهرامٍ وتنفكُّ الحراساتُ،

التقتْ أشجارنا بالرَّجم فارتفعي على الصندوق شاهدةً:
هنالك نارُنا السُّفلى مُغَذاةٌ بأكبادِ النوارسِ،
خطوةٌ ويصير نحرٌ لصقَ جثته،
فماذا أدهشَ الروحَ؟
اتفقنا والضفائرُ مثقَلاتٌ بالنتائجِ،
هل رقابُ المبدعينَ رهينةٌ؟
تدنو إلى أحداقنا الكُوَّاتُ عادلةً:
تهرّبُ للخلاءاتِ القريبةِ نارَنا العليا،
وتنقبضُ انقباضَ الساترينَ،
نوافذي مفتوحةٌ
وعلى ملامحِ وجهِ محبوبي ابتسامةُ مرأةٍ شبعانةٍ.

الفراغ

أكلتُ شظايا من يديك،

الوردةُ انسلختْ عن الوجه المُحيَّر وارتمتْ في الابيضاضِ،

يسارُكِ القزحُ المتوَّجُ بالصَّدى ويمينُكِ الشبحُ الجنائيُّ،

اكتفت مستوحشاتٌ بالفنونِ،

وظلت امرأةٌ مناورةٌ تقاوم فِهرَها الصيَّادَ،

يا ذاتيُّ: فوقَ الرأس أنساقٌ مفكَّكةٌ ومَسٌّ من حنينٍ،

كانت الأعصابُ عاريةً وأشجاري تفوح على الشواطئِ،

ليس في حالي سوى التابوتِ لكن شهقتي عَدْوٌ

وهذي الدارُ باسمي،

كيف يتسعُ الفراغُ وفيه أحصنةُ المرابِينَ؟

اختطفَني من تَمَكُّنِ دودةٍ بالكُلْيَتَيْنِ،

أنا المدوَّرُ والقبابُ تخبَّأتْ أنصافُها مني

وأنصافٌ تراءتْ لامتحانِ الساهرينَ،

ارحمْ يدي يا نصفُ،

ليسَ الماءُ خائننا ولكنَّ الرمالَ تهيَّأتْ في شكلِ

أوراكِ العذارى مثلما أفتى القديمُ.

تبدلتْ قصصٌ،

دُجى الميناء مضطربٌ بتفريغِ الطبائعِ من خصائصها،

صنعنا سُلَّماً للنفس لكنَّ المغنينَ استداروا للقواقعِ،

هل نقيضٌ للبواخر خدُّك الريفيُّ؟

أمي جَهَّزتْ عسلاً وخبزاً للفطور وأطلقتْني:

نَمْ على النهدِ الذي أيقظتَه،

واشرحْ هُداكَ بلفتةٍ.

بُراق

الجسمُ مشغولٌ بتكييفِ الوقائعِ للشفاه،

الأفقُ خَطٌّ،

والتقاءُ الماءِ بالرملِ المُرَطَّبِ بالخُطى خَطٌّ،

وجسمُ السيد الوالي بَديلٌ للخطوط،

ذراعُ سيدةٍ توارى في الزوايا فاشتكى الشعراءُ،

يسقي سيِّدونَ حدائقَ الليمونِ والدنيا هَبَاءٌ،

شَعرُها المجزوزُ يفصحُ عن مهادنة،

أتصغي للحفيفِ من احتكاكِ العانَتَيْنِ؟

قماشُ مقعدنا طريٌّ

فانتبهْ للتوتِ فوق منابعِ الذكرى،

أضاءتْ جلطةُ المخّ المباغتةُ التكايا عند أمي

فاستحمتْ في نشيدٍ عائليٍّ،

قبَّلتْ كَفَّيَّ واندهشتْ لحزنِ الصّهرِ،

قالت: نادها بالباء وارحمها إذا ارتجفتْ ملامحُ مُرَّةٌ،

لستْ أصابعُ عازفَيْنِ الجفنَ وانفلتَ البُراقُ،

الماءُ في الحجراتِ يا أهْلُ،

الودادُ مبيَّتٌ فوق الوسائدِ والوسائدُ غارقاتٌ في العقارِ،

على البطون الماءُ يا أهلُ، انظروا:

هذي البضائعُ آتياتٌ:

قَلَّدَ الرَّسامُ صقرَ الخَتمِ،

واندفعتْ ضرائبُ،

رتَّبَ الفنيُّ مسألةَ العفونةِ،

واستطابَ مهندسونَ.

وفي الشقوقِ الماءُ،

تسألني المريدةُ: يا فتى أين المقايضةُ:

الشرائعُ منكَ والحنّاءُ مني؟

سيداتٌ عائداتٌ للمُوَزِّع،

بينما الأنثى التي ترتدُّ للموجاتِ تخلعُ عند مربوطَ

الصّبا المختومَ من وهمِ النُّبُوةِ،

خلفَها الوكلاءُ يبتسمونَ،

تأتيني بلا عُكازتينِ وتحت سُرَّتِها البَيَان.

١٨ مايو ١٩٩٠

غزالٌ تحت طاغيةٍ

١ - نستطيع

تيهٌ من الرُّمانِ مقطوعٌ،
وأوسمةٌ معلقةٌ على الخشباتِ بالغيْمِ،
التفلّقُ مَيْسَمٌ للخطو،
فوق الأكرمينَ تعفَّرتْ بالظلِّ،
والتفتتْ تقاوم حلمَها بحياتها،
وعلى المغازلِ بقعةٌ.

* * *

لا توقظِ الليلكيَّ تحت جفوني/ هذه مراودُ المفعَماتِ/ نستطيع أن نستعيدَ عاشقاً جاء من جمصةَ من أجل موعدٍ لم يُضرب/ لستُ طائرَ الفينيق/ أعتذر عن حماقتي في الهاتف منذ أعوام/ اسمعِ الأغنية التي سأنشدها عليكَ وأنتَ في مائي:
«أنا كنت عبدك في عز ضعفكِ/ وكنت يوم التجلي سيدك»/ استقِمْ فأنتَ المفوّضُ.

٢ - المواقيتُ مخلوفةٌ

قطارُ الإسكندرية فظٌّ،

والراحلون يلقطون الحَصَى من بطنِ المحطاتِ،

ويفركون البحر في جعبةٍ.

كانت سمكةٌ ملوَّنةٌ تنام تحت إبطي،

أيقظتُها بمقطعينِ من «ليتَ للبرَّاقِ عيناً»،

ففردَتْ زعانفَها على أطرافي ومُلّكتْ صَحَائفي،

ظلت خياشيمها تشمُّ يُودي في خضوعِ المُريدينَ،

قالت: صِفْ غزالاً تحت طاغيةٍ،

قلتُ: رزحي مُحَلاَّةٌ بالنقش فوق النُّحاسِ،

وهذه جموعٌ في صلاةِ الاستسقاء.

كانت سمكةٌ ملوّنةٌ تطيرُ بين ألفاظي،

وتَسْخَنُ في المحطاتِ لتكتبَ أقصوصةً.

* * *

أنا في رذاذٍ يدلُّ الفتى أنَ ينامَ بمكمنهِ مائلاً
مثل ذئبِ الجنوبِ،
يفرُّ كَمَيْمَنَةٍ شَقَّها السيفُ في كَرَّةٍ:
فلماذا الزمانُ المرجَّى عَصِيٌّ؟
تُصبُّ الأباريق نشوانةً فوق جِذعي،
فكيف سيمكن للسيّدِ المتأله أن يتخفَّفَ من موتهِ؟
في الرذاذِ المواقيتُ مخلوفةٌ،
ويداي محضَّرتان لإعطاءِ هذا البهاء خواتمهَ الساحليَّةَ
حتى يوافقَ معنى الشريعةِ،
ماذا جرى للطبيعةِ يا خضَّرُ:
آمِنةٌ مثلَ جُمَّيزَةٍ؟

٣ - فقه اللّذة

من يُسقِطُ العرشَ الذي عليه استويتُ؟
أنا التي أحتالُ على الحياة بالكَرَفْس والشّيفون،
في ذكرى صلاح حسين رائحتُكَ تملأ الأجرانَ،
المُلكُ لكَ يا صاحبَ المُلك،
الرفاقُ أرسلوا لي باقةً من أبي زعبلَ،
أنامُ والليلكيُّ في فمي: قَدَري واختياري،
كيف انضممتُ إلى لجنةِ الحرياتِ وأنا في بَهْوِكَ أَمَةٌ؟
ما من عضوٍ في جسدي ليس عضوَ الإله كما قال الأقدمون،
تكتُبني الطواسينُ:
«فيه تيهٌ في تيهٍ وآيةٌ في آية».
فاخرجْ من صوامعي إلى المناقير،
لستُ التي قلتُ: ليتكَ تحلو والحياةُ مريرةٌ،
لكنني سأسوقُ إلى دارِكَ بهائمي.

* * *

- لماذا لا ينفضحُ المخبَّأُ؟

- الشهوةُ في الشَّكل.

- الفَقْدُ والخديعةُ هل مَرَّا على العُبْدانِ؟

- تحتنا لغةٌ ألصقُ بالفؤادِ من خلاطٍ.

- أين غادرتَني؟

- في رملٍ: حبيبي من الريف جاء.

- ضع شفرةً على عِرقٍ فإنني على شَفَا.

- لَبَنُكِ في افتتاحِ «شَجْرِينَ» أبقى.

* * *

حِرْزٌ يُملّكُ للجسدِ المشرقيِّ المشيئةَ،
هذي الصهاريجُ جارحةٌ،
والمفاتيحُ مغسولةٌ في هويس المَنَايا،
مُبَاركةٌ في دم الصائدينَ الفخاخُ،
ارقبيها هنالك قُلَّبةً كالمواجيد،
تمضي إلى الذبح فرديَّةً مثل منعطفٍ:
قُرْبَ أمِّ الخُلول الخُطى،
والنُّحاةُ يقومون من سقطةٍ يَسْطُرونَ:
مداخِلُها الزئبقيةُ خَسٌّ.

٤ - محتمل

نستُ دنيويةً وأنتَ الخلاسيُّ/ كان ما بيننا مُضمراً في لهاثِ الطفل إلى چيفارا/ وأنا التي رأيتُكَ في «أولىَ بهذا القلب أن يخفقا»/ صِرتَ في يدي وأنا مع جرحي الانتفاضات/ كيف قابلتَني عند «لم يعُدّ في لؤلؤ الأعماقِ محتمَل سوى نصر الهزيمة»؟/ما زال مصباحُ يقاوم الفيروسَ/ قرأتُ بالأمس «إنني أمشي على الجنوب مَرَحا»/ هل لا تزال فوق بنصركَ الحريةُ؟/ ساعدني لكي أعودَ بكَ إلى يناير ٨٩/ مسامُ جلدي مفتوحةٌ وروحي تسيلُ بين رُكبتيَّ/ كُن وقَدِّمْ النُّون/ أمكَ جهزتْ لي في منامي ثريدةً.

المراعي هِبَةٌ. ما اسمُ المَهَاةِ؟ اسمي : أُناشُ،
صوتي غايةٌ للوسائط بينما مقعدي أبَدٌ، واسمي: أُناشُ،
توشك الثقافاتُ على السقوطِ، واسمي: أُنَاشُ،
من فَضْلِ الأصابع أنها نَمَتْ في الريح، واسمي: أُنَاشُ،
أَشْربُ وأصُبُّ، واسمي: أُنَاشُ،
أدرسُ في الضحى والليل علومَ تخليدِ الجسد، واسمي: أُنَاشُ،
أنا صَنَّاعةُ الهَنْكِ، واسمي: أُنَاشُ،
ها هنا طغاةٌ في طغاةٍ، وموتٌ يُعاشُ.

٥ - ذاكرة

انسَ هاملت وانسَ عمرو،

من منا لم يَطْعَنْ كفٌّ يده؟

العوالمُ أسمنتٌ والبيوتُ دُمْيَةٌ،

رائحةُ الذِّكَرِ أقصى من الأنفِ،

فدعْ لي سلامَ البازلت كما شاءَ مَشَّاءٌ،

لا صفاقسُ ولا مشتولُ أهلي.

٦ - الرأس إلى تحت

وَتَرٌ من السنواتِ مهتوكٌ،

وعند مفاصلي رجلٌ يقاتلُ نفسَه،

سمّى الجبايةَ وهَجه والنحلَ عائلةً،

بهْ انتخبتْ مصائرَها المصائرُ واستطال مروّجونَ،

هنا الحياةُ تصغّرتْ في عينِ شمسٍ،

شرقُها سُفنٌ وبحّارونَ.

لكن الجنوبَ: النارُ مسألةٌ مركّبَةٌ،

وبين اسمين كانَ العابرون.

ظَهْرُكِ ثابتٌ وصوتُكِ مرحمتي/ هذه إجابتي على سؤال محمود أمين العالم: أنت حاءُ حَواء/ أريد أن أَشمك وأنت تخبزينَ كعكةً/ كيف يستيقظُ الأقنانُ والروح غافيةٌ؟/ أنا الذي وقفتُ أسفلَ التجمعِ ذاتَ ثلاثاء/ هل تذكرينَ الشهقةَ التي تواكبتْ مع كارمينا بورانا؟/ حافظي على أذنيكِ حسّاسَتَيْنِ حتى أعودَ من طرابلس الغرب/ أنت أنثايَ وأنا الأحدبُ الذي يغفو في المسافة بين سُرّتكِ ووردتك التركية/ الشاطبي أضَيقُ من أصابع الرّجلينِ/ أنت حاءُ حِرٍ/ وعليكِ تثبيتُ الفَحّاتِ في عَدَسةٍ.

٧ - نقلةُ قَدَم

لماذا تتراءينَ لي في كل نقلةِ قَدَم؟
الشّصُّ مواجهٌ لحلقومي وعليكِ روماني يموءُ،
هل لأنكِ البطريقُ المَعَذَّبُ؟
توجّهي للذؤابات حيث الأوطانُ موفورةً،
وحينما أمضي إلى نهائياتِ موسيقايَ الملكيَّة،
ستكون هناكَ ضاربةُ دفٍّ وحيدةٌ معلقةٌ في محراثها الليليّ،
تضحكُ في هشيم وتنزفُ في صَلَفِ الغُزَاةِ،
صَرْعى الزلازل غائبونَ في الغُرفِ،
وفي مثلثك ثأرُ عشتروت.
أنت ضاربةُ الدفّ،
وأنا الملثَّمُ الذي يراكِ في كلّ نَقْلةِ قَدَم.

ديسمبر ١٩٩٠

المستوصف

١

أنا في حاجة إلى أن تكون في حاجة إليَّ

متى أتخذُ قراري بِسقايةِ النَّجّارين؟

مُخْرِج بونابرت قال: مخبولةٌ،

أنت محرومٌ من الحرمان فتمنّني لكي أظلَّ قصيّةً،

ضعِ الأصابعَ على توتتين حتى يملأ الليلكيُّ ميدانَ ألماظة،

ثم اطبخِ القسوةَ في قُدوري،

قلتُ لك: اتخذْ ركنا لكي أقصَّ مَسْرَى الجنين،

فلماذا تكاثَر الحقوقيون في بلادي؟

كنتُ مبتلةً حينما دقَّ بابي سَمَندلُ،

ونيلي ليس لعجول الصحراء كما قال فرعون الحجازيين،

أريدك لك لا لي لي لا لك لي لك لي،

هنا العُملاءُ مرتاحون وعضلاتُ وِركي مُرهَقةٌ،

قصفوا الشارعَ الذي قلتُ فيه: أحبُّ المُزارِعَ،

قهوةٌ بغدادَ آمرةٌ،

والمراسلُ يقول: كل شيء طبيعيٌّ بمصرَ،

سأكتم الفُراتَيْن تحت ثوبي لأن الفواتيرَ طائرةٌ ودمَكَ الوتدُ،

فمتى أضربَ عن الشحن والتفريغ عُمّالٌ؟

مصر عادت شمسُكِ الذهبُ،

أفقد كوبري قصر النيل وجامعةَ عين شمس

فلا تكفَّ عن كتابة لحمي،

أنا واقفةٌ تحت نفسي لا أنتظر غير الوزن والفعل المضارع،

«رائحةُ اللحظات» مقسومةٌ على أربعين،

وأنا أضبط الحياةَ متلبّسةً بشمعداني،

نصفُ إكليل البدن تم في أوبرا،

هل فقدنا الطفلَ؟

فّي اندلاعُ كمُّونٍ وفيكَ جُعَلُ قمحٍ

وفوقنا صلاةُ أحباشٍ مسوّمين.

أريدكَ لكَ لي لا لكَ لي لي لكَ لا لي،

أربعاءٌ شاذٌ،

ومارسٌ مُدَلّى من سدرةِ المنتهى،
موقعةُ المطبخ لا تزال على الجلد
فائرةً بالحداثة والتقوّس:
أرانبُ خضراءُ تأكل الرسّفين،
ونمارقُ مصفوفةٌ على خصر المنوفيّ،
أنقذني الغاز والمبرّدُ،
وكنتُ بينهما قصاصَ الحافظين فروجَهم والحافظات.

٢

نافذتان تطلان على المُخبر ومحاجر أسمنتٍ/ سيدةُ الظل مسيّجةٌ بالظلّ/ بُهاراتٌ/ فوق الدَّرجِ المصباحُ ضنينٌ لكنَّ اللمحةَ نيّرةٌ / عُنقي حمأٌ مسنونٌ وقُراي انداحت في الغِرّين/ كم سربًا فوق جبيني؟/ شَبَحان على الحائط وأظافرُ في آجرّ الشرفة/ هل بِنّجي كُلّيًّ؟/ كنتُ معلّقةً بمفاتيح القدس فصرتُ معلقةً من رمشي/ الليلُ الرّحِمُ/ عُطوفٌ وطرابيشُ وسيزا نبراوي/ مدنٌ كذّاباتٌ من حركاتِ التصحيح/صقورٌ/

هل أحضرتِ اللوزات؟/ القيءُ قليل هذا الليلَ/ غريبٌ يلمسُ
في المفترق غريبا/ ماتت أمي في «المخصوص» بسرطان
المرّيء/ أنا الضحّاكةُ في الآصال الهنّاكةُ في الخِدر/ أستلقى
بهدوءِ المبقورين/ أرى رُسلا ومجانيقَ وجدّي يرعى غنما/
قنطرةُ الضّالين بها سوسٌ/ خذْ قصصي من كيس الأدعية/
اسمي في النص «أُناشُ» وفي الحزب «جميلةُ»/ كيف تنط
الحيواناتُ وقنواتي مغلقة؟/ هذي صحراءُ العَلَمين/ أريد
العَلَقةَ صاحيةً/ أنتِ محدّثة ماهرةٌ/ جاء فتى بعد الأخدودِ/
ضعي الريميلَ خفيفاً والقفطانَ/ الحقنةُ خاطئةٌ/ كيف
اختزن البدنُ الضامرُ زلزالَ لقاح؟/ هذي أفدنةٌ من قطن
في الروح ومُهرٌ في الترقوةِ/ السيدةُ تمر بمدرسة الشهداء/
أنا الغمّازةُ لولا صندوق النقد الهزّازةُ لولا القيح/ اخرجْ من
أعطافي يا تيسُ/ الأنطاعُ جهولون/ تركّزَ ضوءٌ فوق مثلثِ
ضوءٍ/ هل قلتُ: انكسرت تجربةُ العدل؟/ خذي الرنجةَ
والنابتَ/ لا أبغي إلا القرويَّ المطبوعَ/ هل الدنيا فاشلةٌ؟/

نظّفْ غرفي من حبرك يا لصُّ/ تريد النطفةَ صاحيةً/ بيتُك مثقوبٌ بالكلافين وشهريات الأمة/ سيزول القيءُ صباحاً/ كيف أسير على أربعةٍ والأوتادُ بأحشائي؟/ أنتِ ضميرُ المتكلم/ حاذرْ من تيارات البرد/ سلاحُ الطيران بريءٌ/ كنتُ أقول: الدّمور يعذّب مرمَركِ فخليه بدرج المكتب/ أغطيةٌ/ صوّرْ وجهي ساعةَ ميم في ميم/ كاميليا تبكي عازفها وأنا أبكي الميثاقَ/ دمٌ في جلباب النوم فهل سيبيعون الشركاتِ العامةَ؟/ نافذتان تطلان على المخبرِ ومحاجرِ أسمنتٍ وامرأة أرهفُ من مُديتها ودمٌ/ قال الجرّاح: الشعر يفتّق قفلَ بويضاتٍ محكمةٍ/ وجهُكِ في الطمثِ مليك مُقْتدرٌ/ سأعود/ قطاعات كاملة ستجوع/ دم من O يمشي من أكتوبر حتى الدوران/ بقولٌ طازجة بعد الصحو/ دم فوق محفات «الوردية»/ عيناكَ تضيئان من البقعِ/ عصائرُ فاكهة/ شفتاكَ المثقلتان تطلان من الدلو النابضِ/ كفٌّ وحساءٌ/ دمكَ على المبضعِ لألاءٌ/ فلماذا تستعذبُ موتي؟

٣

اختصرتُكِ إلى أوقيةٍ من قرفة،

شَعرة مشبوكةٌ في «غزال تحت طاغية» لا تزال

تسند المحاربين،

هنا غُسْلُ الغواية منصوبٌ،

والحيُّ السادسُ مختومٌ بحرس الحدودِ مدهوسٌ بساقيَّ،

أنتِ زرابيٌّ مبثوثةٌ بينما الوعولُ في فعلي،

والليلكيُّ لكِ لا لي لك الليلكي لا لي،

فكيف أطفأ الحلفاءُ الجسرَ؟

مدرّسُ العلوم قال: البريّةُ أوسعُ من شرائح المخّ،

لكنني لن أعيد إليك نيجاتيفَ لوثةٍ:

(زَغَبٌ على رابٍ مجسّته،

فلقتانِ مظللتان بالصدّ والحُمْرة،

حفرٌ على صعبِ المسالكِ حشوُه وقْدٌ

ازدهارُ عجيزةٍ ببرلنت)

لم أشاهد «عشيقةَ الضابط الفرنسي»،

لكنني سألمحْ المصاغ على الطوابق العليا،

قلتُ: أربعة أجنّةٍ في خلاءِ معدني،

وخلف هذه المقابض المعقّمات خامسهم: مصيري،

امرأة عارية ومنقرعُ المدمّى هائج

وحولهما نجاشيون يصرخون:

أوّلُكِ بواغيزُ حرّةٌ وأوّلي خَنشٌ،

لم نكن مَبْنِيّينَ للمجهول حينما اخترنا الفئوس،

لكن الليلكي لك لا لي لك الليلكي لا لي،

أنفكِ مجنون ونهداكِ نونا نسوةٍ مرفوعتان،

لأن كل كمنجة لبنٌ يُحكم جبّارين،

فهل ألِّفَ الأكرادُ الجنائزَ بالهوى؟

أمرّغُ صدغيَّ في ن ن بالساحل الشماليّ،

وأصنع نُطُفاً على نطفٍ تسيل في:

«شربن من خمرةِ الأصيل»،

كنا معلّقّين في هلب المبشّرين،

نبني قبةَ الأولياءِ وكَرْنكَ الفُحشِ،

وفوق لحمنا نونان نمروذتان تكمنان

ثم تقفزان على ظهر ابن آوى،

أرى الدُربانَ ينهضون،

ثلاثُ طفولاتٍ تكبلني عن طفولةٍ،

هل عَذَّبَتْكِ الحريةُ؟

افتحي يديك عن جمرتي لتسقط،

وأوقفي المقعَد الكهربائيَّ،

لستُ منتهى الجموع،

ولستِ المفردَ المؤنث.

يونيو ١٩٩١

يَدٌ في مثلث الكهرمان

عصيرُ ثعابينَ

كانت سلسلةُ الظَّهرِ مُهيَّأةً،
والجرجانيُّ على أيسر بطنكِ يصعد سُلَّمَه اللغويَّ،
يحكُّ الواوَ على واوٍ ويسدُّ الرمقَ بتيهٍ:
ليس على المنضدةِ سوى شمس التصنيع،
وطالبةٌ فَرَّتْ من حصص الجَبْر،
فقلتُ: الشهواتُ مذاهبُ والعَظْمُ عصيرُ ثعابينَ،
هنا طلابُ الهندسةِ القدماءُ يقيمون الذاكرةَ
ويفتتحون الصندوقَ،
وفوق رءوس الخطباء بَذَارُكِ يمرُقُ من كفِّ المحروسة،
لكنَّ الجرجانيَّ على أيسر بطنكِ يصعد سّلمَه اللغويَّ
ويُطعمني الشكلَ،
فيقفز شِصٌّ في القعر الخام،
ويتحلَّق من حول بُراقيَّ مُعَزُّونَ يقولون لمقتولٍ:
خذ أختَ الوردة.

تراءت الأندلس

كيف يفلتُ صوتٌ يقول: أنا الوريثةُ؟

٦ أكتوبر تعني: غُصناكِ مرفوعانِ مثل مشكاةٍ،

وأنا بينهما ناسخُ المكيَّاتِ،

حينما قلتِ: «ضُمَّني»، تراءَتْ الأندلس،

فهل تذكرين يوم قلتِ: أنتَ كركدن؟

شمعُكِ حادثةٌ وتحت مسكنيكِ جُرفان،

قصصتِ صوفةً بليلٍ فزُلزلت الأرضُ زلزالها وانسعرتُ،

نادوا بإطلاق المساجين فعفوتِ وقلتِ:

ضَعْ يدَكَ على الشافعيّ،

ليتَكِ ترين نفسَكِ وأنتِ مسرودةٌ:

كان حصاني على تختك الشرقي مواثيقَ مراقةً،

تدهنينه على القُبَّتَيْن والمُهنَّد،

فهل فاجأتكِ كُوّتاكِ بالنورس؟

تخطبين في الجموع عن تلاعب المجلس،

لكنني كنتُ أعلم أنكِ لا تلبسين الدريئةَ،

وأحسُّ بين مبعوثَيْكِ الخائنَ الكريم،

أنت المرأة التي شربت النبيذ مخلوطا بيوسفَ،

وأنا الرجلُ الذي جاءه في «قارب نجاة» مطلعٌ:

«رملٌ على الأحداق والأحداقُ رملٌ».

طفقتُ أطعن أختي وأقول: قزٌّ،

وأنتِ على المجزر الآليّ تصعدين تهبطين:

صنعتِ الآخرةَ على قرفصاء،

بينما جروُ إخوان الصفا مربوط إلى برزخٍ،

وعمودُ الله قائمٌ على غُرَّة.

ناديتُ: يا ذاتَ السبعة والعشرين هاءً:

من أين أتيتِ بكل هذه النَّقَّالات؟

ورقُ الوعد

سامحني يا شرعُ/ النيران مسجَّرةٌ في أفواه البرَزَةِ والزُّهَادِ/ غضاريفُ مرقَّمة بالمَسّ/ بصائرُ خلف القرميد العُرفيّ/ نساءٌ يبصرن الأنقاضَ مؤلَّهةً/ مُرٌّ/ ليس أبو الهول تراثا يحجب عن عِرقٍ عرقاً/ أعمدةٌ من نورٍ تحت التَّنُّوراتِ/ لماذا يتوهَّجُ بالكارثة العُمرُ؟/ رسائلُ/ جاراتُ المرأة قلنَ لها زيدي في القهوة مستكةً طازجةً/ وضعي الخلخال على العانة كلَّ هزيع/ وانتظري ساعةَ يغدو القمر شبيهاً بحليبِ المسمار/ مَلُومونَ/ الشاعرُ جوّال حتى تُسملَ عيناه بمخرازَيْن من العاج/ هشيمٌ بهشيم/ جسدي ينقصُ جسدي/ أفق من شهبٍ يغطس فيه الوراقون/ النسوةُ قلنَ لسيِّدةٍ مثقلةٍ بالتبر:

خذيه إلى السبع كنائس وارتجلي الصعقةَ/ ميلادٌ فتى موقوتٌ بالبحر/ الشبانُ يرشون اليودَ على الساقين/ قناطرُ/ يرتعشون كورق الوعدِ/ امرأةٌ ليست تعرف أن الأزرقَ بعضَ حوائجها/ الحزبُ انقسمَ وصندوقُ التصويت مليءٌ بالصلصال/ أراقبُ بَصّات الأرنب تحت القطن/ منائرُ قايتباي معلّقةٌ في الكَبدِ/ اصنعْ لحنكَ بيمينكَ واخلدْ للأسرار/ الشبانُ طعينون/ يقول القائلُ: هذا الرجل بلادٌ المرأة هذي المرأةُ مفتاحُ النيل/ وينكبُّون على أغنية النُّوتي: السُّراتُ الخمراناتُ مواسم.

أَسَرْتُه بلساني

رجلٌ ممسكٌ بشمعتين في حلوان،

يقول: اذهبْ أيها الظلامُ عن رُقَيّ،

سيدةٌ تجهّز الشطائرَ بينما فخذاها يقطُران،

لو اجتمعنا في المصعد كنتُ أسَرتُه بلساني،

كانت الأرجوحةُ تهتز وفأسُكَ تأويلَ الأحاديثِ،

صرتُ عمودَيةً والطاووسُ مني،

معقوفة كزُبَيْدةَ في قصر الشوقِ،

تمثال العمائر مقدودٌ من بين أخضريكِ الحديثين،

ليس ميكيل أنجلو أصفى من والدتي،

وليس موسى سوانا في مرآةِ المهندسين،

اثنان في المنحنى مُحتكّان بإفكِ الظهيرةِ،

خمسُ سنوات من أشعةٍ،

والجاحظُ شاهدٌ على يدٍ في مثلثِ الكهرمان،

هل تذكرين مصائدَ الجمعة؟

كانت الأسنانُ تصطكُّ والروحُ مدبوغةٌ،

وهنا مغناطيسٌ طوله ستون شهراً،

وأنا الأجيرُ تحت نعل المستوصف.

رئة من ضاد

سُكَّرُ أمي خمسُ مئات،

ذهبتْ بي لجنائزَ مورقةٍ من بحر الرومِ،

فوقف الخلقُ على رئةٍ من ضاد،

قلتُ: خياري النردُ الصعْبُ وتنِّينُ الأخيلةِ

عقابِي مكتملٌ:

قوسٌ بين الأنثى والمورد،

وفزاعٌ بين الجسدِ وصُدْفته،

ميداليةُ جرحى حربِ التحرير مقلَّدَةٌ،

لكنَّ نصوصَ النقالين مرفرفةٌ تحت الكفّ،

أرى غندرةَ البدن مطيَّرةً في قصر المنتزه،

فكيف تكونُ خمورُ الوجه مؤجلَّةً للذبح؟

هنالك مغفرةٌ تائهةٌ،

وهنا تسعون نهاراً لم تكف لإذلال البَنَّاءِ،

كأنكِ صَرَّحتِ: عيارُك مأثرةٌ،
فوق الطاولة الحيثيون ومُلاّك القصعة،
لي كتبٌ بيميني وحواريون انخدعوا باللافتة،
شهابٌ منفلتٌ ينجو من طباخي القسوة،
وأصابعُ قدميكِ محملةٌ بسُعاة الهيئاتِ،
تدللْ يا كونستابلُ وخذ رهناً لحياتي:
فقهَ اللذة وبياضَ الرحمن،
أنا الخارجُ من فُرن الأسئلةِ وسُكَّرُ أمي خمسُ مئاتٍ،
ضَمُرَ البحران وراء زجاج الحكمة،
لكن النبلاءَ المأجورينَ هم الصَّرعَةُ،
هل كَبُرتِ؟
أتاك الشأنُ الملتبسُ على ثَمَرٍ:
بطنُكِ في الهاتف مثقلةٌ،
ويداكِ على حفرةٍ وضّاحَ،
هَنالك مغفرةٌ تائهةٌ،

وهنا تسعون هزيعاً لم تكفِ لمقصلةٍ،
كان الضباطُ الأحرارُ وجوديينَ،
فمن شهقتْ في الرجمِ: أنا لبؤةُ مَنْفَ؟

- بجُوعك تمثالُ البجعةِ،
- خاسرةٌ
رَقيتَ أمي سلَّمَها في يومين،
فألقاني السّندانُ على دُبُرٍ شاحبة،
كي أتملى موسى: انطلقْ.
لي كتبٌ بيميني وحواريون انخدعوا بي،
وأصابعُ قدميكِ منظّفة بملائكة الشخص،
فمن يقتلُ تنينَ البدن لقاءَ الجُبَّةِ
ويحسّرُ أمي؟

١٩٩٢/٥/٥

خلاص

287

هذا النزيفُ حلوٌ،

لكننى أرى بين الأسرَّةِ والدنيا مسافةَ نَطعٍ،

لم تكن الكعبةُ غسَّالتي،

ولا الأنبياءُ مدرسيَّ الخصوصيينَ،

كنتُ سارقَ النّيل في محطة الرمل،

ونصفي مؤرجحَ الاختبارات،

قلتُ لامرأةٍ من كفر صقر:

النجاةُ أسطورةٌ بيتيةٌ،

والقضاةُ مستحيلون.

لن نغادر انقلابنا على تبنِ الزرائبِ،

إذا لم يخدعْنا الحَجَرُ الأسودُ،

ربما جئنا متأخرين عن الجَرس،

غارقينَ في فضائحِ السبعينات،

مُكلفِّينَ بالثورةِ في الرابعة إلا رُبْعاً،

هل شرَّختنا المرايا؟

سنرى القمَّاشين مسرورين في الدمعِ،

يجعلون المؤاخاةَ مسعى يديّ،

وكانت امرأةٌ عكسُ نفسها تقفز

من ماركيزَ إلى صبح الأعشى،

لم يكسرنا الذهبُ الأسودُ،

ولمَ نمُت واقفين،

قال فتىً لمصكوكةٍ بالرغائب:

لم أدهنْ حصيرتك بالمانجو،

فلا تطفئي كِيرَ الكونِ.

كلُّ الكهانةِ مزوّرةٌ يا سيدي،

وما برحَ آدم مجبولاً على إغواء فرقةٍ ناجيةٍ،

فكم رغبتِ في اسمه على زنديَّ،

قلعةُ الكبش مكشوفةٌ،

والعابرون يراهنونَ على سقوطِ جلبابي من الشرفةِ،

قالت امرأةٌ من كفر صقر:

يخلطون العهنَ المنفوشَ بالكربون،

قلتُ: اسمهُ على زندي: نقصٌ.

موثّقُ النهايات فَرَحٌ

وكانت البرقيّات عاجلةً:

لا الشاحباتُ قادراتٌ على فضاءٍ،

ولا الشاحبون قادرون على قفصٍ.

وداعنا منقّى من سكاكين الوداع،

لم يخطئ حظَّه أحدٌ،

وحكمتنا ما تزال صالحةً:

الأبيضُ

يُفضي إلى الأبيض،

ربما باغتتنا الصياغاتُ فارتبكنا في الأقاليم،

بعد مِئة عام سوف أعزّي نفسي:

الانكسارُ النظيفُ

خيرٌ من الغَلبةِ الملوّثة،

وسوف أعزي امرأةً من بلادي:

لم تَخْسري سوى الخسران والشّهر العقاريّ،

وسوف أكتب في رخام نهضةِ مصر:

يا وردُ

هَوّنْ

عليك.

المأذونُ ماتَ بدفتريا العقائد،

فأَفْسِحوا الطريقَ يا إخوةُ،

كي يمرّ المصابون.

يوليو ١٩٩١

إشارات

• فى قصيدة «أول» : «جارة الوادي» أغنية لمحمد عبد الوهاب، تأليف أحمد شوقى .

• فى قصيدة «طائر الرذاذ»: «البرزخ» إحدى قصائدي في ديوان «سيرة بيروت». غرناطة اسم مقهى بمصر الجديدة واسم مدينة من مدن الأندلس.» يا من يدل خطوتي على طريق الضحكة البريئة» من شعر صلاح عبد الصبور. رنيم: اسم بنتى، وزاهية: اسم أمى ، لميس: اسم بنتى، والراهب: اسم قريتى .

• في قصيدة «جسد الفراشة»: «البائية والحائى» عنوان ديوان لي، نصوص مسندية : إشارة إلى الخط اليمنى القديم. «يا أم زيدي» من كتاب «الرسائل» للجاحظ.

• في قصيدة «صباحها وصباحى» : إبراهيم الكرداوي مخرج شاب توفي . محمد الفقيه صالح: شاعرٌ ليبي . «ليس إرثنا مسبوقا بوصية»

و«في ظلماتنا ما من مكان للجمال» و«العيون الجميلة المحروقة»: من شعر رينيه شار. «الأسوأ كان قد مضى»: جملة لماركيز. «عندما يأتى المساء»: أغنية لعبد الوهاب . «أشهد أنني قد عشت» عنوان مذكرات نيرود.

• في قصيدة «صبوة القُقْنُس»: الققنس: اسم عربي لطائر خرافي، يوازي طائر الفينيق، ورد فى «منطق الطير» لفريد الدين العطار. و«أعجب الأيام يومى...»: لفريد الدين العطار. وبقية المقتطفات من رسائل شخصية. «نقط الماء السائب»: جملة من شعر علي فنديل. «رائحة اللحظات»: عنوان رواية لبهيجة حسين. «هاتان مهاتان»: جملة من شعر حسن طلب.

• في قصيدة «الليلكي»: الليلكى نسبة من زهرة الليلك. البلشون: طائر مصري جنوبي قديم. «جبل الجرانيت انشق» و«مصر التي في خاطري» و «علماء وعمال» و «أَنَتركُهُمْ يغصبون العروبة مجد الأبوة والسؤددا» و «أهلا بالمعارك» و «بالأحضان يا مزارع» و «عدى النهار» :من أغاني الستينيات.

• فى قصيدة «ارحم يدي يا نصف»: «رأس المال»: اسم كتاب لماركس، «عزلة الملكات»:اسم ديوان لقاسم حداد، «ميرامار»: اسم

رواية لنجيب محفوظ ، «جدل الطبيعة»: اسم كتاب لهيجل، جمال : هو الشاعر جمال القصاص . «ورمل كأوراك العذارى» : من شعر ذي الرمة.

• فى قصيدة «غزال تحت طاغية »: «أنا كنت عبدك فى عز ضعفك ...»: أغنية لجمال بخيت يغنيها على الحجار. «ليت للبراك عينا»: من الشعر العربى القديم . « فيهِ تيهٌ فى تيهٍ ... »: من شعر الحلاج في «الطواسين». « ليتك تحلو والحياة مريرة»: من شعر أبي فراس الحمداني. «حبيبي من الريف جاء»: من شعر أحمد عبد المعطي حجازي. «شجرين»: اسم قاعة فنون تشكيلية بمصر الجديدة .. «أولى بهذا القلب أن يخفقا»: من شعر عمر الخيام ترجمة احمد رامى . « لم يعد فى لؤلؤ الأعماق محتمل ...»: من شعر قاسم حداد. مصباح: الإشارة إلى مصباح قطب الصحفي بجريدة الأهالى . «كن وقَدم النون»: من كتاب «الرسائل» للجاحظ . «انس هملت وانس عمرو»: من حوار في فيلم «اسكندرية كمان وكمان » ليوسف شاهين. «سلام البازلت»: جملة لحسن طلب . «صِفاقس» مدينة تونسية و«مشتول» قرية مصرية. «سفن وبحارون»: من شعر قاسم حداد . «كارمينا بورانا»: أوبرا موسيقيه لكارل أورف.

• فى قصيدة «المستوصف»: مخرج بونابرت: يوسف شاهين مخرج فيلم «وداعا بونابرت» . سمندل : رمز الشر فى مسرحية «الأميرة تنتظر» لصلاح عبد الصبور . «مصر عادت شمسك الذهب»: أغنية لفيروز . «الليل الرحم» اسم مجموعة قصصية لمحمد روميش . سيزا نبراوي: من رائدات العمل النسائي الوطني المصري. «زغب على رابِ مجسَّته ...»: إشارة إلى أبيات القصيدة القديمة «ولها هنَ رابٍ مجسته ، صعب المسالك حشوه وقدُ». «عشيقة الضابط الفرنسى» : اسم فيلم غربي . «شربن من خمر الأصيل» من شعر محمود حسن إسماعيل يغنيها محمد عبد الوهاب فى «النهر الخالد».

• في قصيدة «يدٌ فى مثلث الكهرمان»: «قارب نجاة»:اسم مجموعة قصصية تحت الطبع لبهيجة حسين. «قصر الشوق»: اسم رواية لنجيب محفوظ وزبيدة إحدى بطلاتها. «موسى»: تمثال ميكيل أنجلو الشهير .«وضاح»: إشارة إلى الشاعر وضاح اليمن وقصتة المعروفة مع زوجة الخليفة.

• فى قصيدة «خلاص»: «كفر صقر» إحدى مدن الشرقية. «نهضة مصر» اسم تمثال لمختار . «يا ورد هون عليك»: أغنية لمحمد عبد الوهاب.

ديـــوان

الشـغاف والمرْيَمات

(١٩٩٤)

إلى أبي: عبد الغني سالم

وأمي: زاهية السيد نصار

أربع قصائد في المقاربات

يؤذن مغرب

يؤذّنُ مَغربٌ

فتحطُّ عاشقةٌ إزاراً فوق أبيضها الرهيفِ،

وتنحني.

في الماءِ ترقبُ شكلَها شهباً وأعشاباً

بلون رجالها الفانينَ والآتينَ

تكشف خطوةً في الصمت،

يسألها الرُّعاةُ عن الخليل.

تحطُّ فوق الأبيض المخبوءِ حُمُّصَةً،

وترحلُ.

في نوافذها القريبة كنتُ أسمعُ للفتى

أن يخنلي بالنرجسات الخُضرِ،

يخلع عن مواقتها الأصائلَ،

ثم يبكي فوق شاهدها الشهيّ،

ويترك الأثوابَ عندي.

من منائرها يؤذن مغربٌ.

فألمُّ أوراقي من المقهى

وأحلم بالنجيل يحوطُ حُمُّصَةً بمائدةٍ

تشيلُ إزار عاشقةٍ

ترامت فوق كفّ الغائبينَ مدًى.

وأحلم بالنجيل،

يؤذّن الحزنُ البسيطُ فأنحني عند المياه:

الشكلُ صنوُ الشكل،

لكن الفتاةَ تلمُّ غامضَها،

وتقضي نحبَها اليوميَّ قربَ المغربِ المعلوم فيَّ،

وتنتفي تحت الموائدِ.

عُريُها ينحلُّ فوق الأسطر المكتومةِ،

انتبهتْ،

فخانتْ خاطري وخُطاي.

كان المغربُ الفَضَّاحُ أذَّنَ،

فانتشلتُ قصيدتي ملموسةً بمسيرها.

كانت عشيقُتنا تلملم نثرَها خلفَ المكان.

نوفمبر ١٩٨٤

كسرتْ محارتَها الوحيدة

إلى ماجدة الطهطاوي

كسرتْ محارتَها الوحيدةَ،

ثم نامت في مَدَاها،

كنتُ أشهدُ خطوَها،

ما بين وردٍ والأصولِ.

سألتُ:

هل يتخاصمُ السفرُ الطويلُ مع الوصولِ؟

أجابَ طيفٌ في المَدَى:

طيفٌ يدسُّ صبَايَ في أنشوطةٍ،

وأنا سأبدأ إذ يزولُ.

بها ندىً،

نهضتْ ترتّبُ رمزَها

وتخبّئُ البدنَ الوحيدَ عن الفصولِ.

السّرُّ خامَرها،

فشَكَّتْ شَعَرها

في نيزكٍ يمضي إليَّ علي الصدى،

خَلُصَتْ إلى أنفاسِها وتراثها الليليّ،

دَسَّتْ في يديَّ محارةً مكسورةً.

كانت إلى النهر الصموتِ،

خفيفةً كالموت والنجوى،

وكنتُ على دمي المفصولِ،

أشهد خطوَها الموصولَ.

هل ستمرُّ من رئتيَّ؟

لا أحدٌ يجيبُ،

ولا محارتُها تقولُ.

نوفمبر ١٩٨٤

تقلب خطّةَ القلب

إيماءةٌ صغرى،

ورائحةٌ مُطهَّرةٌ بملحِ حنينها المكتومِ.

تثقلني المحادثةُ المرَمَّزةُ:

احتقنتُ على دماي،

وقلتُ رأياً في التحزُّب والصراع الجبهويّ.

مناخُ هذي المهرة الحرَّى

يتيح لهذه الأشجار تأويلَ التنفُّس بالجنون،

والابتسامةَ بالضَّنَا.

تتراوحُ الإيماءةُ الصُغرى إلى عمري القليل،

فانتحى خلف انخطافي

كي أرتب جملةً تصفُ انخطافي بالرقائق.

تُقبلُ الأنثى على روحي،

وتمضي،

تترك الإيقاع منكسراً على شفتيّ.

كان الوجهُ قربَ الوجه،

بينهما نداءٌ في الهواء يرفُّ مثل فراشةٍ داختْ

على القنديلِ،

تسكنُ في اليدين هنيهةً،

وتطيرُ في شجر المكان برمزها المرئيِّ،

ثم تعود تهمدُ في اليدين.

تقول: لا تبدأ قصائدك القصيرةَ من عيوني

فالعيونُ صنيعُ غيري،

آيتي الزمنُ الذي نسجَ العيونَ.

سجائري نفدتْ وقلبي مستديمٌ،

تُقبل الأنثى على بدني لتقلبَ خُطَّةَ القلبِ،

استقرتْ كالسراب،

وراوحتْ مثل الطبيعة.

هل أبوح بأن جمراً يشتهي جمراً؟

تحطُّ على الفؤاد

شفيفةً كالليل حين يسوقُها في الحلم:

تخلع جورباً،

وتنام في تركيبيَ الشّعريّ

عاريةً

سوى من مَسّةِ الكفّ الوحيدةِ.

ترقب النيلَ الرماديّ الحفيظَ،

تصبُّ قهوتَها التي ابتردتْ:

ستدخلني من الثقب المقدّس بين جلدي والضلوعِ.

وليس من عينيَّ،

إني ضدٌّ جسمي،

فاعزفِ القيثارَ ثانيةً على نَفَسِ المكانِ،

وخلِّ الجمرَ موصولاً بجمري.

تُقبلُ الأنثى على بدني،

وتمضي نحو بُرنسها المعَلّق،

ثم تكتبُ في الندى:

هل أنتَ مشتاقٌ

وعندكَ لوعةٌ؟

فبراير ١٩٨٦

خذ تحوطك الملائم

إلى ماجد يوسف

تسَّاقطُ الساعاتُ في حَلقي

فيغفو في دمي رجلٌ صغيرٌ يستريح على يديَّ،

كأن أسفاراً هَدَتْه إلى الحريق

ليرتجي ظلاً على شجر الوداع،

كأن دمعتَه على وزن ارتطامي بارتجافته الأخيرة.

ضَعْ ملابسكَ الجديدةَ في الحقيبةِ،

وانتبهْ لنسيج قلبي في الهواء

وفوقَ لحمكَ طائراً

كقصيدةٍ.

هذي الظلالُ توزَّعتْ بالعدل فوق طريقنا المدقوقِ

وانسحبتْ على شجر الوداعِ،

فخذْ تَحَوُّطَكَ الملائمَ من عيوني

لي على الخطو استداراتٌ مفاجِئةٌ

فيقّظْ قلبَكَ الغُفْلَ.

ارتجلْ سَنَداً لعمرك أو لعمري من أماسينا الضليلةِ،

سوف نفردُ في غدٍ قمصانَنا عند الخليجِ،

وننتشي بالخلقِ والمخلوقِ والوجع البهيج،

هناكَ ترتهنُ المؤنثةُ العَصيَّةُ للمذكَّرِ في الحديقةِ

والمحطاتِ الأليفةِ حين يشجبُ ضوؤها البشريُّ،

سوف نكونُ مثلَ بحيرةٍ أولى.

المَسَرَّةُ في الفضاءِ تلامس القمصانَ لمساً جانبياً
كالحوارِ الحرّ بين فؤادكَ المخدوشِ
والرسم المشابهِ لي بجيبِ قميصكَ الشتويّ
محفوفاً بجلدِكَ والدجى.
رتّبْ حوائجكَ الصغيرةَ في الصناديق الصغيرة
واعتدلْ
افرحْ بجرحِكَ واتّبعني
هذه الساعاتُ في حَلقي ستسقطُ،
فاحتملني ساعةً أو حقبةً في ضلعكَ الذاتيّ،
حتى تستجيبَ الجمرةُ البيضاءُ في الكفين للنجوى،
وينسجمَ النسيجُ.
لنا الطرائقُ وحدَها.

قصائد الشّغاف

عـزف

العازفُ يتوحَّدُ في وَتَرِه
يتداخلُ في الموسيقى متئداً
مختَرقا
يسكن نبرتَه،
ليحطَّ الطيرُ على كُمِّ قميصي.
فلماذا حين انسكبَ القلبُ على المرآة ارتجفتْ أهدابي؟
ولماذا حين انجرحتْ معزوفتُه أبصرتُ المُدية في نافذتي؟
العازفُ يمضي نحو بدايته الأولى،
يتبدَّى في طرف الحقل المَرْويّ بشوشاً وصموتا.

فلماذا قلتُ: العازفُ يتوحَّدُ في وَتَرِه؟
وأنا أعرف أن العازفَ يتضرّجُ بمواجع شجرِه
ويسير على الموسيقى منفلقا
يتخفى في نبرته ليحطَّ الطيرُ على قَدَره
في كُمّ قميصى
مختنقا.

غرفة

كمن يبتُّ بحرَه عن اهتياجه
كمن يباعد البيوتَ عنِ حصيرها،
تجيء لي الهنيهةُ المزلزِله،
هل الهواءُ بين ساعديَّ والمساءَ
بثقل أشياء مهجتي التي تطير في خواء غرفةٍ بعيدةٍ؟
هل الأصابعُ التي تشابكت خلاصةٌ لأزمنة؟
كمن يشُقُّ غيمةً عن اكتنازها بزهرةٍ محمَّلة
تشقُّني الهنيهةُ المُزَلزِله
وتختفي على بهائها كمن يغيبُ في بهائِه.

العابر

كان على العابر أن يمتحن يديه

وهما تفتتحان الخطوة بين الزرقة والمصرع،

العابر خانتّه الحنكةُ في وصف الصلةِ الموصولة

بين زفير السيدة الصغرى والشّعرِ،

فشارف بعضاً من ميتته المخصوصةِ.

كان يغني في ليلته:

للأنثى أن تحتكم إلى النهرِ لينصرَها ضدَّ الأفق اللمَّاح •

وأخيلتي،

ويثبّتها خلف ستائرها:

بمحاذاةِ القول المكتومِ وأعلى من إبريق مصبوبٍ.

للأنثى أن تختصر الماشينَ إلى ذبذبةٍ

بين تحرُّكها وفضاءِ أريكتها النابض.

هل كان على العابر أن يقطع هذا الزمَن المتوتر

بين الزرقةِ والمصرع بالأغنية المنقوصة؟

واجه سَيْفَيْها المغسولَين،

تأمَّلَ غيبوبتهَ الحاضرةَ،

وراجع غنوتَه وهو يشارفُ بعضاً من ميتتهِ المخصوصةِ:

للأنثى أن تصنعَ في شرفتها فانوساً

وتداري أبيضَها الغُفُلَ،

وأن تثني رُكبتها لتقيم الرمزَ على مائدةٍ

بين المسّ وجسد الممسوسِ،

وللأنثى أن تتحصَّن خلف تنفُّسها الموقوت.

فهل كانَ على العابر أن يمتحن الصلةَ الموصولة

بين زفير السيدةِ الصغرى والشِّعر،

لكي يتخيرَ ميتته التامةَ:

هل في الأغنيةِ المنقوصةِ؟

أم في الخطوة بين المرأة وقصائدها؟

العابرُ خانتهُ البرهة.

جماعة

كساقيةٍ من لَظَى تُقبلُ المرأةُ المُستحِمَّةُ
جدائلها المرسلاتُ على البطنِ والناهدين:
أئمةٌ
أكنتُ المُصَلّي أم المُصْطَلي؟
أفرداً؟ أتلخيصَ أُمّةْ؟

القرط

صَحَتْ إلى نعاسها،

مشتْ وحيدةً تجاه قرطها،

حكَتْ حكاية سريعة عن الفتاة والشاعر الكذوب

وغمغمتْ:

يظل من فُلَّة أريجها لا شكلُ طينةِ الأصص.

بكَتْ وحَدَّقَتْ بقرطها،

ثم غيَّبَ النعاسُ هدبهَا على يديّ

تأرجحتْ بنهرها على سريرها القديم

وفي جوارها قصيدتي الأخيرة:

تكاد أسطرٌ حزينةٌ تلامسُ الخرزةَ الملَوَّنهْ

يكادُ طرفُ القرطِ أن يحفَّ في حروفها الكسيره.

وهي ما تزال نائمه

بلا أُصُصْ.

وبينما يحفُّ بي الأريجُ كنتُ في فضائِها معلَّقاً أحفُّ به

ونهرُها الحديثُ ما يزال في سريرها القديم

جارياً بغير شكله.

صورة

الذكرى تركنُ ثدييها فوق أصابع قلبي،
وتشاغلُ عينيها بتأمُّل أشياءِ الله،
وتغفو في صدري.
الذكرى تفرطُ في السهو ضفائرَها المبلولةَ فوق قميصي،
وتحدثني عن أخطاء الأحزاب وعن خاتمها الوجدانيّ.
تصبّ القهوةَ هادئةً
وهي تداري دمعتها في جلبابي،
وتخبّئُ شفَتيْها خلفَ هواءِ الحجرةِ،
وهواءُ الحجرةِ يقظانُ.
الذكرى تخلع برنسَها الفضيَّ وراءَ الباب المردودِ خفيفاً،
وتموت.

النرجس

لا تشرحْ نرجسَكَ المخطوف تماماً

فالنرجسُ فوق حكايته،

وأخفُّ من اللغةِ المكتومةِ بين البطِّ وماءِ بحيرتهِ المقفولةِ.

واختبرِ النرجسَ هوناً

فهو أغضُّ من الأسئلةِ المألوفةِ

بين الجمرةِ ورماد سخونتها.

لا تقل النرجسُ حَدٌّ لي

فالنرجسُ ضد الشاطئ والقوسْ

وهو أُخَيُّ الخَيْلْ.

لا تَكُ سَنَداً للنرجس في غَسَق

فالنرجسُ سَنَدٌ لسَماءِ النهرِ وغِرْيَنِه المطمور بأُقدامي،

حسبُكَ أن تصبحَ محفوفاً بعلائقه الليلية

بين الطلقةِ والناي.

لا تذهبْ للنرجس في شفتيه

فهو بُراءٌ من صفو الأعضاء

واذهبْ فيه على الشّعرِ وطفلٍ يسقط من أرجوحةْ

لا تقل النرجسُ فوّاحٌ وكَميلٌ،

فالنرجسُ أبعدُ من هيئته الملموحةِ

وأدَلُّ من الحقلِ.

قُلِ النرجسُ بدنٌ هواءٍ يتذبذبُ

بين الماءِ وبين الطير الطائرِ خَفْوَ الماء.

وهو النقصانُ تماماً.

القطة

كأنها ستخمش الفؤادَ وهي تنزوي بركنها بَليلَةً،
كأنها ستدلق البكاءَ في أصابعي
وهي ترشق النبالَ في قرنفلة.
على حدود حربها مع ارتعاشِ نهدها ارتجفتُ
كسرتُ نسمَةَ سَرتْ على مسَاربِ السهولِ بي
وامتزجتُ في تيهِ روحي.

على حدود عريها مع انسراقِ خطوها إلى فراشةٍ
تحطُّ فوق جبهتي رسالةً تطوف بين خائفَينْ.
تسلّلتْ إلى جريدة الحزب ليلةً،
كأنها ستستريح من رحيلها بميتةٍ فريدةٍ
وهي تبدأ الرحيلَ من خرافَتينْ

رَمَتْ سؤالَها الدفينَ:

هل هنيهةُ الطريق ضد برهةِ الغريق؟

كوَّمَتْ على الخوانِ ثوبَها كأنها ستخمشُ الفؤاد فجأةً

وأشعلتْ عيونَها بزهرةٍ

كأنها ستبدأ الغنَاء من نسيج سهوةٍ

ومَدّدتْ على يديَّ شَعرَها لكي تدسَّ فوق نبعها الغطاء

فتحجب ارتعاشَ نهدها الخفيِّ عن فراشةٍ

تظل صاحية.

لم تعد إلى سؤالها عن الطريق والغريق:

مضت إلى الظلام في دروبها الوحيدة

وحيدةً

سوى من انحدارة تفتَّتتْ

تكاد تشبهُ المهابطَ التي أسيرُ ضمنَها

إلى هزائمي.

الشيء الأبيض

كيف تُسَمّي هذا الشيءَ الأبيضَ بين العازفِ والمعزوفةِ

وهو خصيمُ إشارته؟

هدهدْه قليلاً

واشبكْه على القلعِ لتبصرَ كيف يكون غريمَ الموجةِ،

كيف يحطُّ البحرَ بديلاً للبحرِ.

ولا تقترحِ الليلةَ رُتباً للوقتِ المملوءِ

بهذا الشيءِ الأبيضِ بين الحلمةِ وأناملها الموصوفةِ.

صِف نهراً تستبدله بخصائصه حين تشير إليه،

فهو خصيمُ إشارته،

شَخّصْ بلداً طائرةً في كفّ

إن كنتَ تودُّ ضلوعَكَ مصفوفه .

.

بخزانة قمصان السيدة الزرقاءْ،

فهو نقيضُ الأمكنةِ جميعاً

لكن لا تصفِ الشيءَ،

الشيءُ انفلتَ وراء تعيُّنه نحو أضاحيه المقطوفه.

فاركضْ صوبَ اللهجاتِ به

حتى ترمقَه ينفي الأحرفَ عن أبيضهِ

ويغيبُ على عينيْ سيدةٍ زرقاءْ

خُلواً خُلواً إلا من أنفاسي.

لا تقترح اسماً – هو عكسُ الخُلجان.

لا تقترحِ اسماً – هو أعمقُ من حالتهِ وأدقُّ من البَيَضانْ.

لا تقترحِ اسماً لخليّ الأسماءِ المخطوفه

فقط اكتبْ:

هو هذا الشيءُ الأبيضُ

بين الأحدوثةِ ونهايتها غير المألوفه.

آخر الرؤيا

يخطفُ الروحَ من روحها خاطفٌ
فيه مَسٌّ من اسمي
وفي ثوبه بعضُ دمعٍ توارى على كفّه عن رؤايَ
واصلٌ بين أشلاءِ روحي وبيني
كلما جاءَ في عُريه التقى الوعلُ في خافقي رعبَه
كلما جاءَ في لونه جئتُ في صورةٍ لي
على شرفةِ البيتِ خَطَّتْ
وخَلَّتْ رتوشاً بها بعضَ لحمي
واشتعالاً قريباً لأهزوجتي أو دماي.
يخطفُ الروحَ من روحها خاطفٌ
يخلطُ الروحَ في راحِها،

مازجاً في سمائي سَمَايْ

ناسجاً من رمادي مدًى شَكلُه الحبُّ،

صوتي على عَزْفه: نائحٌ روحَه الرائحه.

يخطف الروحَ من روحها رائحٌ نحو وهْمي

بين خطوي سراباتُه لي

سراباته في خُطايْ.

هل رحيقٌ على داره: نَزْفةٌ؟

أم رحيقٌ على داره: نَايْ؟

هاجسٌ يخطفُ الروحَ من روحِها

اقنعَ الوعلَ بالركضِ نحو اسمه

بين تَلٍّ من النرجس الحيّ

وارتعاشاتِ داري على المهجة الطافحه.

يسقط الوعلُ في راحتي غارقاً في لَظَايْ

يسقط الوعلُ في صورةٍ رَسْمُها كان مسًّا من اسمي

غابَ في قبرِ روحي وراحْ

عندما جاءني في صِبايّ

خاطفٌ يخطفُ الروحَ من روحها،

شكلُه: الخاتمُ المستحيلُ

صوتُه: الروحُ في قَعْرِ روحي

وهي تستلهم الخطفَ من خاطفٍ

يخطف الروحَ من روحها

باكياً

خالعاً روحه

عند روحي.

جميل

تهيّأَتْ لحالها وقالت: ارمِ لي القرنفله

وكان صائحٌ يصيحُ بي:

ابتكرْ مَدَاكَ واحْمِهِ من المشاتلِ المُجَرَّحَه

ولا تَفُضَّ سِرَّه العليَّ.

قالت: ارمِ لي القرنفله.

قرأتُ من «جميل»

«خليليَّ إن قالت بثينةُ: ماَ لهُ

أتانا بلا وَعْدٍ

فقولا لها: لَهَا

أتى وهو مشغولٌ لعظْمِ الذي به

ومن بات يرعى السُّهاَ

سَهَا

بثينة تزري بالغزالة في الضحى

إذا برزتْ لم تُبقِ يوماً بِها بَهَا

لها مقلةٌ كحلاءُ،

نجلاءُ خِلقةً

كأن أباها الظبيُ أو أمَّها مَهَا

دَهَتْني بودٍّ قاتلٍ وهو مُتْلفي

وكم قتلتْ بالودِّ من ودَّها

دَهَا»

وحينما انتهيتُ كانت استوتْ على سكونها

رماداً استراح في المسافةِ التي ستفصلُ الجبينَ

عن جبين

وتفصلُ الغناءَ عن فِنائها الصموت.

نَدًى جميل

كان يستقرُّ في خِبائها،

وكانت اختفت على سطوح بيتها بلمحةٍ،

وليس في يديَّ غيرُ ذبذباتِ حالها على الهواءِ،

بين عرشها وتمتمات أضلعي.

وفي البساطِ يرتمي ندى جميل.

الأهرامات

الأهراماتُ محاذيةٌ للشُّرُفاتْ
والكازوارينا عاليةٌ
تقترب من الصورةِ فوقَ زجاج النافذةِ المفتوحه،
وتحفُّ بأغنيةٍ مكتومه
تسري بين الحجراتْ.
والمرأةُ مستلقيةٌ في مخدعها الواسعِ
واحدةً ووحيده،
تتأملُ شكلَ الأهراماتِ محاذيةً للشرفاتِ
وشكلَ الكازوارينا عاليةً
وهي تلامسُ صورةَ رجلٍ باليةً

فوق زجاج النافذةِ المفتوحه.

كان سريرُ المرأةِ

أوسعَ من بدنِ المرأةِ

بمسافةِ بدنٍ

أضيقَ من أغنيةٍ مجروحةٌ

بمسافةِ بحر.

الصورة باليةٌ والأهراماتُ محاذيةٌ للشرفات.

سهرة

حضورُها يطيرُ فوق حاضري

أخفَّ من محاولاتِ قَبْضة بمهجةٍ،

وأبعدَ ارتجافةً من المسافةِ التي تباعدُ البيوت،

وليس بين عينها وراحتي سوى انكسارتين.

خانني تحسُّبي الطويل

فما وعيتُ أن نهرها الحديثَ حينما جرى على سريري

فإنما ليغسل السماء مني

وينحني لذاته لا لجلدي القديم.

تريح قلبَها هنيهةً من اتصالِ رقصها على القلوع

وتدفن الدموعَ خلسةً على كتابي

فخانني حسابي

بحضرةِ انكسارتين:

انكسارةٍ بعمقِ سقطةِ الهواءِ بين هُدبها وصمتي
وانكسارةٍ بطولِ الارتحالِ من صوامعي إلى مناخها:
أخفُّ من محاولات قبْضها بجسمي،
وأنصعَ انتحابةً من المنائرِ التي تقوم بين قاربين.
ما يزال طائراً حضورُها على رءوس حاضري
خلَّصتْ سماءَها من اشتباكها بحِبْري
تحدَّثتْ عن الرفاقِ وانتفاضةِ المدرِّسينَ والزمان
وأوقفتْ صدى المسجِّلِ القريب
ثم أخلدتْ لفحّةِ انسلالِ روحها من المكان
فقلتُ فكرةً عن البدايةِ التي تشابه النهاية التي تحوم.
ولم يكن على المدى الذي يحدُّ عينَها وراحتي
سوى انكسارتين
وكلمةٍ عن السّفَر.

مَـرّةً

قطفتُه - أنا وأنتِ - مَرّةً
في جنينةٍ على زمام قريةٍ بعيدةٍ،
وكان أبيضا.
قطفتُه - أنا وأنتِ - في محطةِ القطار مرةً
وكان نائماً وراء هدبِكِ الحزين
فهمَّ واستطاب نفسه وحطَّ شكلَه أمامَ نادهَين
وكان شكلُه مباشراً وأبيضا.
قطفتُه - أنا وأنتِ - مرةً
تحت موجةٍ عليمةٍ سماؤها ازرقاقةٌ خفيفةٌ،
فانتقى قطافُنا اشتعالَه كلؤلؤه
على دوائر المياه تحت موجةٍ عليمةٍ
ونطَّ فوق سطح مائه، فكان أبيضا.
أنتِ سمَّيتِ ناره خرافةً مرةً

ومرةً

سمَّيتِ لمستي: صلاه

وكان الاسمُ كلَّ مرةٍ مُزوَّقاً، وأبيضا.

واللحنُ صيَّرَ الحقولَ خضرةً تنزُّ أبيضا.

فما الذي أراقَ في بياضنا عكارةَ الدماء مرةً

وسوَّى جنينةً أليفةً بمدفنٍ

تدسُّ فيه وردةٌ غناءَها الثقيل

مُلوَّثاً مرةً

ومرةً أبيضا؟

كنتُ أوّلَ العازفين، مرةً،

ولم أكن نهايةَ القاطفين.

وكان نصلُ خنجرٍ بخاصري

أبيضاً

مرةً،

ومرةً

أبيضا.

مواربة

ما يزال بابُ بيتها موارَبا

وقلبُها موارَبا

وجسمُها موارَبا

وعمرُها موارَبا.

وهي ما تزال في سريرها العريضِ مأخوذةً

ترتّبُ الكواكبا.

تلذُّ باختيار دفئها الثريّ من قصيدة

يرفُّ جمرُها على الفراشِ هادئاً مرتَّبا

رضيّةً بمعزوفةٍ تجيء في المساء دافئه

لا بعازفٍ يجيء في الهزيع لاهِبا

تاركةً بابَ بيتها موارَبا

وقلبهَا موارَبا

وجسمَها موارَبا

وهي ما تزال في سريرها العريضِ مأخوذةً

ترتّب الكواكبا.

غيابُها كان حاضراً،

حضورُها كان غائبا.

١٩٨٤

أربع قصائد في وصف الذات

حفيفُ فكرةٍ تهيم

كأنني ارتقبتُه يطلُّ من إهابي
حمامةً تسدُّ كوَّةَ اغترابي
بلَيْلةٍ فتحتُ بابي
أذاع لي المسافرُ البطيءُ:
قماطُ ساعدي معاكسٌ لخطوكم على الخلاء
وشاهدي مؤهَّلٌ بزهرةٍ وحيدةٍ
تخالفُ ابتداءَكم بالانحلال في الرحيقْ.
قماطُ ساعدي: طريقٌ.
كأنني انتظرتُه يفيءُ
رموزَ خُضرةٍ تشقُّ في عطَانةِ اللظى خرابي.
بليلةٍ فتحتُ بابي

أطاعَ مهجتي المسافرُ البطيءْ

ليمنحَ الزمانَ لي لكي أتمَّ للورى سؤالي:

تُرى تسرَّبتْ مع المسَا صَبيّةٌ تشابه الحدود

تخبَّأتْ بأرزِها الخَفيّ أو تكللت بحلمها

الثقيل لتربطَ الخلاصَ في قميصها البليل؟

بليلةٍ لمحتُه:

يهرول الفتى على ثرى بلاده مؤجّجاً بصيرتَه

لينتقي من الأسى المتاحِ جلوتينِ من جَوًى:

مدامعَ الزاحفين في القرى، وفتْنتَه.

فلم يخضْ وردَه

بغير بَحّةٍ هزيلةٍ وهامَ في ملاءةِ الفضاء.

تُراهُ في غياهبِ السَّنَا أضاء؟

أم تُراه كان مُلْزماً برقصةٍ بهيةٍ مع ارتعاشةِ الثرى؟

له حفيفُ فكرةٍ تهيم

له زمانٌ قُبَّرَة

له اختيارُ بُردتي دثارَه،

أو اختيارُ بَرْقهِ النقيّ ضدَ شمعتي المُعَفَّرة.

كأنني اقترحتُه على سَرَابي

وشلتُه أريجَ وهم استكانَ في ثيابي.

هل استَقَتْ دمايَ صوتَه يقول:

هذه المحرّكاتُ نَفْيُ حَضْرتي،

فلا وجودُكم لنبضتي لبُوسُها،

ولا سماؤكم تليق باحتضارتي.

تمرد الفتى عليّ،

ومات في يديّ.

جِسمان بجُثمان

إلى ميدان الدقي

فِي الميدانِ المشجوجِ، لمحتُه:
كان هو الناحلَ نفسَه.
كان هو الهائمَ نفسَه،
فندهتُه.
انخرطَ بعتمةِ دربٍ كنتُ شبكتُ على شجرته أسمائي،
وشبكتُه.
اندَاحَ على غبشته الرفَّافةِ، فتبعتهُ
اصطدمتُ فِي رضّ مكتوم رئتانا، فعرفتُه:
كان الشّجُّ عميقاً بين العينين.

حين انحرفَ على صدري

ليقول: اذْهبْ لترى الكونَ يفيض على شباكِ الأكوان

بنثار غموض الأنثى ونثارِ غموضِ التوتْ

لم يكُ يعرف أن دمائي في رؤيايْ

أن ثقوبَ حياتي حدقاتٌ تبصرُ لتموتْ

وخُطايْ

مُقَلٌ تتَملى رقرقةَ الملكوتْ.

لما صارَ جبينٌ بجبينٍ،

لمحَ الجثةَ في الرؤيا، والرؤيا في حجمِ التابوتْ

والمشهدُ: جسمانِ بجُثمان.

تتسعُ الدائرةُ على الغبشةِ وتضيقُ على الناي

وقريني حين انقسمَ على تجعيدةِ كفي

كان يرى الكونَ اتكأَ على أهدابي،

ويرى الأمكنةَ وقد صارت سِكّيناً في جلبابي.

صرخ: الأمكنةُ استشرت في شريان قتيلي.

وأنا من تحت الأبنية همست:
الأمكنةُ هنيهاتي والطُّرقَاتُ سَمَايَ.

في الميدان المتخفّي عن جسمي أبصرتُه
كان يُعبِّئُ سنواتي في جمجمةٍ مثقوبه
ويرتبُ أوردةَ صِباهُ على قلبي،
كان زماني المغدورَ وقد صار مكانا.

وعلى العتمة رئتان
ونزيفٌ فضّاحٌ لدَمٍ مُفْتَضَح
ينحدرُ على الجدرانِ إلى أعلى.
(ليت المكانَ كانَ خرقةً ولا زمان
ليت المكانَ كان جغرافيا بلا ضلوع
أو كان دميةً بلا ملامح انكسار وردةٍ
تضيع إذ تضوع،
ليت المكانَ كانَ لا مكان).

ينحني على بلاده انحناءة

إلى صلاح عدلي

كأنه ينام في خصائص ابتدائه،

كأنه شبيهُ مائه،

أتى إليّ وهلةً وغامَ في الغمامةِ،

استعانَ باضطرابه على خطاه، واستكنّ.

كان يستريحُ في الخرابِ من ضَنَا فؤادهِ الحييِّ،

فاستقرّ في طريقهِ على طريقةٍ من الخُطى تخصُّ هيئةَ

الصلاتِ بين عمره وبين أهلهِ المبعثرينَ في فضائه.

انتمى لوردةٍ تحطُّ في الخفاءِ عطرَها،

وعطرُها على يديَّ،

تحت نخلة غفا، وقال:

هذه البلادُ من ملامحي، وهذه القناطرُ الضلوعُ.

كان يختفي وراءَ مائهِ

يستدير خلفَ حارس،

يغزُّ في الجدار أنملاً يبلُّه بروحهِ،

فيسحب الفتاةَ من خلال كوّةٍ ويستقيم في شئونها،

يدسُّ في غيومها اعترافه الوحيدَ: ياسمينٌ.

هزه الجنودُ فاستدارَ في المساءِ داخلاً نسيجَه الطريَّ،

واستطالَ عند رأس حارة،

وكان مثلَ قُطْنَةٍ: مجففاً وناصعًا،

يدقُّ بابَ شرفتي،

فتحتُ: فوق مشبكِ الثيابِ كان رمزُه يرفُّ في هوائهِ،

وفوق سُترتي البليلةِ الرسالةُ: الدَّمُ – البلادُ.

لم يكن سوى مناخِه على جدارِ شرفتي،

ولا على يديَّ غيرُ ريقهِ المُراق.

واحداً سيبدأُ الخليقةَ الأخيرةَ:

اكتفى بذاتهِ،

اكتفى ببلدةٍ بحجم طلعةِ الإله واستراحَ من ضَنَا الفؤاد،
هزّه الجنودُ فانحنى ليكملَ ابتناءَ بيتهِ على دمائهِ،
وبانَ من خفائهِ،
السماءُ حَوَّلتْه لي: فراحَ يصهر الفضاءَ طفلةً،
ويرصدُ المسافةَ التي ستفصل الشذى عن التويجِ،
أو تباعدُ المدى عن المُضيَّعينَ فيه،
ثم راحَ في غمامةٍ وحيدةٍ يفكّك الحياةَ عن غموضها،
يداعبُ الجنودَ وهو يرتقي سلالمَ القرنفل الندى،
يمسح الثرى بكفّه وهو يصنع البلادَ مَرَّةً:
كأنه ينامُ في خصائص ابتدائهِ
كأن موطناً يَكِنُّ في ردائهِ
كأنه يَرُبُّ في طلوعهِ دواءَه بدائهِ.

أحد لم يتبعني

إلى حسن طلب

لم يتبعْني أحدٌ، كنتُ أسير على شرياني
أفحصُ صِفتي في ذاتي، وأعدّلُ كوني بكياني.

لم يتبعني أحدٌ، سرتُ وراء الهاجسِ مخطوفاً،
يدلفُ بي في سرداب - أدلفُ في سرادب،
يترنّحُ بي في السردابِ على جسدٍ أعتمهُ الغسَقُ - فأترنحُ،
يُشعِلُ في الخطو سراجاً رمزياً - أشعلُ رمزياً،
فيحطُّ السُّرجَ على بطنِ المنطرحينَ وراءَ النافوراتِ المعجونة
بحناجرِ تصرخ بالرؤيا المكتومةِ - فأحطُّ
السُّرَجَ على بطنِ المنطرحينَ،

فباغَتني في المنحدرِ، التفّ عليّ وواجهني،
لكنّي كنتُ أُفسّرُ بعَيَاني غيْبي وأفسّرُ غَيبي بعَياني.

(كانت تمضي
تبذرُ في الأشجار رماداً من وَمْضي
تتبدى عبرَ الحُلكةِ كالأسرارِ،
ولكن بالسرّ الهارب لا تُفْضي
أرمقُ ساحلها المكشوفَ على بدني،
فتغضُّ وتُغضي
تمضي
تاركةً بعضي مسكوناً بوساوسِ بعضي)

قال الرجلُ: افرطْ عنقودكَ، ففَرَطتُ.
اقتادَ خطايَ إلى الدَّغلِ النابضِ، فانقدتُ.
فبسطَ على الأفرعِ شالَ امرأةٍ مربوباً في طيبٍ،

قال: تلفّعْ، فتلفّعتُ، تشممْ، فتشممتُ:
كَمَنْ غِبْتُ،
كمن رُحتُ وفي الحضرةِ جئتُ،
كمن نوديتُ ومن غير نداءٍ لبَّيتُّ،
القائلُ قالَ: استلقِ على المجمرةِ، فحاولتُ وما كدتُ،
اختلطتْ أكواني في أكواني.

خَتَمَ الرجلُ جبيني من ختمِ الدّغْلِ وشَدّ الرُّسْغَيْنِ،
انخذلتْ قدمايَ على عشبٍ ماسَ وعشبٍ سوف يميسُ،
كمن نُحّفتُ بليلٍ، فَتَحُفتُ
وذُوّبتُ بكفّينِ محنّكتينِ فذُبتُ
وخُفّفْتُ فطِرتُ
وفي طيري حيِّ العاريةَ وحَيَّاني.

انحلَّ المعقودُ عليَّ،
فمالَ الرجلُ إليَّ،

أشار إلى بيتٍ خلفَ السهلِ، نظرتُ:

رأيتُ كياني منسوجاً في شالِ امرأةٍ مربوبٍ في طِيبٍ،

والشالُ على كتفِ الجندي المقتولِ،

الجنديُّ المقتولُ مقيمٌ خنجرَه الصاحي في حَلْقي،

حلقي ينضحُ نخلاً مجهولاً في باحاتِ البيت المشروخِ،

البيتُ المشروخُ صغيرٌ كالترعةِ في طيني،

والترعةُ في طيني تجري بالماء الدامغِ تحت شقوقِ الروحِ

بأبداني،

تذروني في أطراف النخلِ الممدودةِ،

لكنّ النخلَ يفتّتُ صِفتي في ذاتي ويبعثر كَوْني بكياني.

أحدٌ لم يتبعْني، كان رفيقي شرياني.

١٩٨٦

سبع قصائد فى المريمات

إلى إدوار الخراط

وسيلة

وهَبَتْ لنَقْشِ السَّقْفِ طائرَها المخفَّفَ،

ثم راحت عند قوس الكورس الخلفيّ تُحصي خَصْرَها،

والكاهنُ ارتفعت أناملُه بوجهِ الصَّبوةِ البِكرِ.

اختفى زمني على صوتينِ،

فانسابت قناديلُ،

انخطفنا،

والنُّحورُ وسيلةٌ للرّبّ.

حساسية

بُوغتُّ أصرخُ جنبَ روحي
كلما تركتْ قميصاً عند عازِفها المنحَّفِ،
وانثنتْ قربَ اليدين.
احترتُ في جسدي،
وقلتُ: كأن أبيضها المرهَّفَ ضدُّ شِعري.
ثم مَسَّتْ ركبتيّ.

كشفتْ صديريًا

خليلي ينحني للرمز،

لكنّ عاجُها المُبْيَضُّ لي.

كشفتْ صديريًّا وغابت في الشفاهِ الحرَّةِ،

انزاحتْ غلالاتٌ،

فمات فتىً يُسمّي نفسَه البدنَ المُضَيَّعَ،

وانزوى جنبَ الإله.

خطفن كمثرى

المَرْيَمَاتُ خطفنَ كمثرى من الروح المقدَّس،

ثم أطلقنَ الضفائرَ قُربَ عَظمي،

فانجرحتُ،

ولم يكن إدواردُ مثلَ حمامتينِ،

يخبُّ في الولهِ العتيق.

فكان يبكي ساعةً،

ويعود ثانيةً إلى خُطّافهِ اللغويّ،

كي يصلَ التُّوَيْجَةَ بالتُّوَيْج.

اقتربتْ يداي

كانت تبدأ الإنشادَ

من وجعي المغلَّف بالبطاقاتِ المباركةِ،

استدارتْ في صِباها لَفْتَتَين،

وأقبلتْ في الشجوِ،

تمنحُ نفسَها لشفاهها المخصوصَةِ.

اقتربتْ يدايَ من الوضوحِ،

وكان إنجيلٌ قديمٌ يشرئبُّ على رخامٍ أنثويّ،

وهي تفتح نهرَها للنهرِ،

كي ينحل ماءً

فوق ماء.

مسافة

يترتلُ النصُّ المؤلَّفُ في الأعالي،
للعلاقةِ بين ردفٍ والأصابعِ،
فانتبهتُ.
العازفاتُ صنعنَ معجزةً مبسّطةً لقلبي،
ثم خُضْنَ به المسافةَ
بين عمري والنصوصِ.
هنا الهواءُ يمسُّ كعبَ الفتنةِ المجلوَّ،
فارتاح الروائيُّ الشجيُّ لبرهَتَينْ،
ومالَ صوبَ حروفِه العُليا:
المسافةُ ما تزال.

بلاغة أخرى

وَتَرٌ خَفِيٌّ،

هذه الأنثى تُسَرِّبُ صوتَها لي في الوصايا،

يومئُ الترتيلُ للغيبوبة الصغرى بخطوي،

ثم يخفتُ في المدى

يصفُ التقاربَ بين خَصْري والنبي.

الضارعاتُ وضعنَ كعكاً في نهودِ الضارعاتِ،

بلاغةٌ أخرى سَرَتْ فوق الرؤوسِ:

تمجّدَ الجسدُ الكريمُ.

وكنتُ أجمعُ ما تبقّى من دلالاتٍ،

وأمضي نحو عمري:

إن هذا النحرَ ذاكرةٌ

ولكني أزول.

نوفمبر ١٩٨٥

قصائد الوداد

سؤال

تسألني نرجسةٌ متوجسةٌ:

هل في صخرةِ عينيكَ الراحلتينِ المرفأْ؟

فأغني للروحِ: وهل مُعتلٌّ بالأشواقِ المخبوءةِ يَبرَأْ؟

تسألني نرجسةٌ متوجسةٌ:

ماذا يمنح لمحارتنا زمناً يتداح على الرملِ الصافي،

ليس يَحُولُ ولا يصدأْ؟

فأجيبُ: الخمرُ البغداديُّ ببشرتكِ: الخاتمةُ،

وعيناكِ: المبدأْ.

فَدَعي طيرَكِ يلقطُ من كفيَّ الأرزَ،

ويغسلُ أجنحةَ الأرقِ،

ويهدأْ.

نرجسةٌ متوجشةٌ

تُنهي سِيَرَ الترحالِ

وتبدأْ.

البرج

نَصلٌ يصلُ السنةَ بسنةٍ،

طُرقاتٌ صُنعتْ للخطواتِ،

هواءٌ يشبكُ أفئدةً مائلةً في أغصانٍ مائلةٍ،

عشبُ النادي الأهليّ،

القهوةُ،

والقَصّاصُ،

الخَفَقَانُ،

وخطواتٌ صُنعتْ للطُّرقات.

الحلمُ بضمّة منتصفِ الأزمانِ،

القَلعةُ شاحبةٌ كالياقوتِ،

حنينُ الكفّ إلى الكفّ،

القدمانِ جوارَ القدمينِ،

السياراتُ المنزلقةُ كاليرَقاتِ،

البئرُ،

نزوعُ المبترِدِ إلى البردانِ،

سرابُ الأهراماتِ،

أراكَ عصيَّ الدمعِ،

السُّكَّرُ ملعقتانِ،

الدنيا شاهقةٌ والروحُ المخطوفةُ شاهقةٌ،

نصلٌ يصلُ السنةَ بسنةٍ،

وعيونٌ صُنعتْ للدمعاتِ.

الأتيلييه

حَدِّثْ رفقاءَكَ عن سوسنةٍ،

واصرِفْ عني لغةَ الضّادِ قليلاً.

فأنا سأدبِّرُ أمرَ جنوني ببراءةِ إقليميٍّ:

سأمرُّ مساءً بأتيلييهِ القاهرةِ،

وأتركُ لكَ خرزاً أزرقَ والمبسمَ،

أسألُ أنورَ كاملَ عن سيرتكَ الذاتية.

أو أُصْغي لخصائص تجربة «اللاّز».

فحدّثْ رفقاءَكَ عن سوسنةٍ.

أعرفُ أنكَ رمزُ اللوحاتِ المائيةِ،

وثيابُكَ طائرةٌ فوق الأمكنةِ المنظورةِ،

قل لي: هل مَزْجُ الأحمرِ بالأزرقِ يعني أنكَ تنتظرُ

وراءَ التأثيريةِ نهديّ؟

وهل وضْعُ النخلة بجوار الخدّين يدلُّ على قلقِ الشُّعراءِ؟
كريمُ الدولةِ كان مليئاً بالفتيةِ وشحيحَ الضوءِ،
فناديتُ: اصرفْ عني لغةَ الضادِ قليلاً
لأحرّكَ في الميدانِ ذراعيَّ،
وأمضي نحو لقاءِ النيلِ مع المتوسط
كي ألمحَ وجهَكَ خلفَ رذاذِ الميناءِ
وأُخفي وَلَعي في قمصانِ الرسّامينَ
فحدّثْ رفقاءَكَ عن سوسنةٍ
خفقتْ في عُرواتِ الأعيانِ المنفيّينَ
وحطّتْ فوق الجدولِ ظامئةً.
أَعرفُ أنكَ ثمّةَ،
وأنا سأدبّرُ أمرَ جنوني ببراءةِ إقليميٍّ،
وأجيءُ كريمَ الدولة سوسنةً.

ثوب بنفسجي

هذا الصُّوفُ المِصريُّ
إذا لامسَ جسداً من أبنوسٍ يتوهَّجُ،
وإذا اصطبغَ بلونِ دماءِ غزالاتٍ مجروحاتٍ يتهدجُ،
ويشفُّ كقيسَ،
يحدِّثني وهو صموتٌ.
هل يحتمل فؤادُ مُصابٍ هذا التركيبَ البشريَّ:
نسيجٌ نَبَّاضٌ يُنسجُ،
نَوَلٌ لَفَّ على كُرَةِ شرايينَ،
بنفسجةٌ فُرطتْ فوق البدن المحروقِ،
غزالاتٌ محقوناتٌ بالجمرِ الفِطريِّ،
جدائلُ محبوساتٌ في خرزٍ أبيضَ تتماسُّ مع
النقشِ المضغوطِ،

وتحتَكُّ بشهواتٍ صُغرى تتخايل للخاطرِ،

تتأجَّجُ،

وتفوتْ.

ماذا يحدثُ للخلقِ الأولِ

حين يلامسُ قَصُّ الطرزيّ المضبوطِ

رءوسَ الحلمات المخبوءاتِ وراءَ الملكوتْ؟

النسجُ المخروطُ على فرعٍ مخروطٍ

يعرفُ أن مسافةَ ما بين المخروطَيْنِ

يُرَوِّقُها خيطُ هواءٍ شرقيّ

ويوتّرُها نَفَسُ الشاعرِ

وهو يذيعُ حروفاً أولى من عمرٍ مسكونٍ بالتابوتْ.

تَنْصَبُّ دماءُ غزالاتٍ مجروحاتٍ فوقَ الجسدِ الأبنوسيّ،
فينشجُّ ويَنشِجُ،
ووراءَ بنفسجةٍ كانَ الصبّاغونَ العذريونَ
يخطُّونَ على الصوفِ المصريّ
سؤالَ الأنثى المخطوطَ:
تُرى من يخلعني من هذا الغَزْلِ اليدويّ
ومن يخطفني من ورقِ التوتْ؟

حوار

سألتْ: أيُّ قناديلي خطفتْكَ إليّ؟

فأجبتُ: القنديلُ المحمولُ على خَصر نبيّ.

خطفتْني سمرةُ نرجسةٍ تحبو من خديكِ إلى عينيّ

أسرابُ يمامٍ هيَّام

نامت فوق الهدبِ اليقظانِ وماتت في الأرقِ الحيّ

بلوراتٌ مكسوراتٌ هربتْ من أقفاصِ طفولتِها

لتحطَّ على زَنديّ.

قالت: فاكشفْ لي رمزَكَ يا جِنيّ

غنيتُ: أنا المخبوءُ وراءَ أصابعكِ الحيرى

والعَلَنيّ.

الغامضُ في الوردِ، وفي الجمرِ جَليّ.

فضعي قنديلَكِ في نافذتي

ودعي أصدافَكِ تصنع لؤلؤَها وتنامُ كأبدٍ في شَطّيّ.

أيُّ قناديلي خطفتْكَ إليّ؟

قلتُ: حزينُ الضَّيّ.

مطر

سيدةٌ تمشي تحتَ اللؤلؤ،

واللؤلؤُ سيَّالٌ من كفّ الله انسابَ،

الماشونَ اختبأوا خلفَ السورِ الحجريّ،

وتركتْ أُسَرٌ شرفاتِ النهرِ إلى الحجراتِ،

وسيدةٌ تمشي تحت اللؤلؤ.

شارعُ أحمدَ شوقي يلمعُ بالبَلَلِ الطازجِ،

واللؤلؤُ سَيَّالٌ من كَفّ الله انسابَ،

السياراتُ المقفولةُ تمرقُ داكنةً وتنثُّ رذاذاً،

كان الرجلُ المنتظرُ يغني قرب الجسر:

إذا ابتلّتْ أثوابُكِ سأجففها بدمايَ.

اللؤلؤُ يَغزُرُ وَيخِفُّ،

الأشجارُ المغسولةُ تتشَهَّى الجمرةَ وتراقبُ

سيدةً تمشي تحتَ اللؤلؤ،

والطُّرُقُ خَلاَءٌ إلا من ساقينِ تحثَّانِ الخطوَ،

الرجلُ المنتظرُ يغني قربَ الجسر:

إذا ابتلّتْ قدماكِ سأمسحُ قدميكِ بخديَّ.

الشارعُ ممتلئٌ بفراغِ المارةِ،

واللؤلؤ

يمشي تحتَ اللؤلؤ.

زمن حاتم زهران

إعتامٌ يفتتحُ نهايات الضوء،
رءوسٌ تنبضُ مشدودات نحو البؤرةِ،
شهداءُ يروحونَ وشهداءُ يعودونَ،
يداها فوقَ يديَّ
كربَّيْنِ صغيرَيْنِ يسوقان الغفرانَ لخطَّاءيْنِ صغيرَيْنِ،
الدبابةُ والمرسيدسُ رمزانِ لكونَيْنِ اصطرعا تمثيليًّا،
وشهيقٌ يترقبُ كيف ستنهار الآلهةُ المرسومةُ،
هذا الخفقُ المكتومُ بأوردةٍ صَنّاعٌ للأسرارِ،
امرأةٌ وأصابعُها في زاويةٍ،
أفّاقونَ رفيقونَ يعدُّون السهرةَ في مهلٍ،
وسخونةُ كفّيها صاعقةٌ،

بَنّاءونَ حديثونَ يطيحون بمنزلٍ منقرعَ،

الموسيقى عكسُ النرجسةِ المتوجسةِ،

وعيناها تلتمعانِ،

الدبابةُ تُخْلي للمرسيدس دربَ الحرّانيةِ،

قالت: كنتُ على زنديكَ مخدَّرةً بالبهجاتِ،

المعماريونَ الجُدُدُ يفكّون رسومَ المستشفى الخيريّ،

يداها فوق جبيني كالدرعِ،

هل الشعرُ كفيلٌ بمقاومةِ خرابِ الدلتا؟

بَدَنٌ بِكرٌ ينتفضُ على العتمةِ كالرئم،

المعمارُ الريفيُّ تهاوى في مُهَجِ الريفيّينَ،

أصابعُ عاشقةٍ في شفتيّ،

يموتُ الطفلُ المنذورُ على ساقيةٍ في الروحِ،

الكادرُ يفصحُ عن تكوينٍ قتيلٍ يتعلَّبُ بحقائبَ غامضةٍ،

وأنا أرمقُ شهواتي السّيارةَ تمرقُ من رئتيّ إلى رئتيّ،

وفي الردهة أُفلتُ أَسْرَاي وأمشي صوبَ خيالي.

كان الأفّاقونَ المرحونَ يغنّونَ بليلٍ مَرحٍ:

نحن الأفاقونَ المرحونَ،

تقول: البُنّيُّ بعينيكَ خفيفٌ هذي الساعةَ،

وتنامُ.

خرابُ الدلتا في لقطاتٍ موجَزةٍ،

ورءوسٌ تتحركُ في الإعتام الحيّ،

النورُ يُضاءُ بلمباتٍ سوداءَ،

ونهداها يرتجفانِ:

دراما سيدتي أعلى.

إسكندرية

الأماكنُ مقذوفةٌ في الفضاءِ،

وعابرتي تشرحُ القوسَ للحالكينَ،

ترى في التماثيلِ صحواً يرنّحها في الطريقِ،

فتدفنُ في دغلِ صدري الموانئَ،

تبكي بكاءَ المدائنِ إن بُنيتْ فوقَ طابيةٍ،

وتخبّئُ في جعبةِ أمِّ كلثومَ،

ثم تبيّنُها حين يصحو المتيَّمُ،

ليسَ على البحرِ إلا المصائدُ.

سرطان

يستأصلُ خَفْقٌ خفقا
تنداحُ خليّاتٌ مسعوراتٌ في أكبادٍ مسعوراتٍ،
تَهْوي مُدُنٌ في الروحِ ومدنٌ تَرْقى
يَمٌّ لطّامٌ وحُطامٌ
والناجونَ يرومونَ جمالَ الغَرْقى.

بواباتٌ أوسعُ من خطواتي،
وزفيرٌ أبطأُ من ذوبانِ عظامي في آنيةٍ،
هذا السرطانُ الفتّانُ تَسرَّبَ للعمرِ المفتونِ
بقفزاتٍ ليّنَةٍ وقصائدَ من دعبلَ،
كيف انتخبَ الأضلاعَ وحطَّ على ممشاتي

مرتجَلاً كالطاووس المطعون؟

وكيف أَدُلُّ عليه الآباءَ؟

أمامي بواباتٌ أوسعُ من صرخاتي

وزفيرٌ مفرومٌ بين المشرحةِ وفَعِلُنْ يترجرجُ

وعلى أعمدةِ سريري كان التقريرُ يقول:

السرطانُ الفتَّانُ دمي.

وبقربِ كُرَيَّاتٍ مفلوتاتٍ يستأصلُ خفقٌ خفقا

والعشاقَ الغرقانونَ يشيلونَ على الأكتافِ العشاقَ الغرقى

يمٌّ لطّامٌ وحطام تخرج منه النرجسةُ الأنقى.

الفوشيا

ليس الأحمرُ والأزرقُ بُغيتَه،

لكنّ البحرَ وعينَ القطةِ وصراخَ الغزلانِ

بقاياه المنثورةُ في الطرقاتْ .

ليس هو الورديَّ،

الورديُّ حياديٌّ يخطفُ فرحتَه من تلفيقِ فتاتِ الفرحاتْ

وهو المنحازُ لأيدي النحّاتين إذا تخلعه بالنونِ

عن السّرّ المكنونِ بأبدانِ المنحوتاتْ.

ليس يُعَرَّفُ بالنفي،

وليس يُوصَّفُ بالإثباتْ.

هو همسُ المرأةِ للرجلِ: تعالَ،

وهمسُ الرجلِ إلى المرأة: آتْ.

برديّة

كان فراعنةٌ بسطاءُ يهيمونَ على العشبِ الأبيضِ،
والسيدةُ المتميّزةُ تبصُّ على المصنوعاتِ الأبديةِ
برفاهيةٍ،
وتداري الجسدَ البشريَّ عن الكوَّةِ في جدرانِ الأهراماتِ
بخبثٍ فطريّ
لتميلَ تجاهَ مراوحها المتبوعةِ،
بجلالِ اللبؤاتِ المأخوذاتِ إلى طيبةَ.
ليس على السَّقالينَ
سوى أن ينتشلوا الصُّوانَ إلى أقدام العاشقةِ،
لتصنعَ صومعةَ غلالٍ من سنبلةِ المحرومينَ،
وتقضي رغبات ضُحاها اليوميّ
إذا صارت بمحاذاةِ بحيرتها الشخصيَّةِ.

تتبعني عند دخول الشمس مِن الكوّةِ، وتقول:
امشِ إلى الماءِ ترَ الماعزَ وعصا وثيابي.

سيدةٌ متميّزةٌ تتحمَّمُ في الزئبقِ متميزةً
وتصفُّ الخلقَ وصيفاتٍ مرهوناتٍ بالإيماءِ،
وتسألني: هل عيناي كورق الليمونِ،
وهل كالمُدْيةِ ذقني الملكيَّةُ؟
ليس على التوحيديّينَ
سوى الجهرِ بوردةِ أخناتونَ،
وليس عليَّ سوى الإصغاءِ لمحبوبي
وهو يكلمني من تحت التاج بهيمنة المعشوقينَ:
أنا قلبي قِنٌّ ببلاطِ قصائدكَ المحنية،
فاضممني في صدركَ يا بنَ الحدّادينَ،
وخُذْ عمري بشروطِ الكهنةِ.
رمسيسُ أبي،

وأنا أَمَةٌ سيدةٌ في مركبِكَ الفخاريّ.

انكشفَ المعبدُ،

تقضي رغباتِ ضحاها اليوميّ،

وتملكُ،

أختي المتميزةُ تجيء إليَّ على أكتافِ الفنانينَ،

تفوح من الإبطينِ تواريخُ الأُسَرِ الذاهبة،

فأهتف: في عينيك ممالكُ دائرةٌ ومقاطعُ مرسلةٌ

يا سيدةً متميزةً

تخفي الجسدَ البشريَّ عن الكوَّة في جدرانِ الأهراماتِ،

دعيني مشبوكاً في هندسةِ الكرنكِ،

واتّجري هذا الموسمَ في الحنطةِ وتوابلِ بدنِ

المحروقينَ بمعصية،

أنتِ وريثةُ حتشبسوتْ.

تحية

عِمتِ صباحاً يا رئةً من نَفَسِ المحتاجينَ،

صباحُ الخيرِ على كفيّكِ تجسّانِ جبيني

وتضيفانِ الفكرةَ للمخلوقاتِ،

صباحُ الخيرِ على حضرتكِ المنشورةِ فيما بين النهرينِ،

استندي في الليل على الوادي،

فأنا أكمنُ بشهيقِ الزرعِ الصيفيّ،

وعِمتِ صباحاً،

هل نمتِ عميقاً كالفسقيّة؟

هل أدركتِ طريقةَ تشريحِ الأعضاء بلمساتٍ من أنملةٍ؟

يطفرُ من نَحركِ وردٌ بُنيٌّ،

فاتكئي في المَشّي على الشّتّلاتِ وخُوضي في،

صباحُ الخيرِ على خصركِ وهو يفرُّ أمامَ يديَّ،
خذي الشايَ بخفَّةٍ خالقة
واستمعي للناي بأسلوبِ القدماءِ المصريينَ،
وعمتِ صباحاً،
هل أمسكتِ الرابطَ بين المستشفى والنورسِ؟
هل زال القلقُ الليليُّ؟
ضَعي تحت وسادتكِ ضلوعي
لتنامي كالبيرقِ وتفيقي كالجرّاحينَ،
صباحُ الخيرِ على كفّيكِ الساخنتينِ هنيهةَ كنا بكريمَ،
أأسميتِ فؤادي السرطانَ؟
فعمتِ صباحاً يا من أسميتُكِ نرجسةً متوجسةً،
عِمتِ صباحاً لي،
وصباحُ الخيرِ عليّ.

مارس ١٩٨٧

المحتوى

شركة الأمل للطباعة والنشر
(مورافيتلي سابقاً)
ت: 23904096 - 23952496

الأعمال الشعرية الكاملة

كان المطارُ مُزدَحمًا بالمُسافرينَ،
ولكنّني كنتُ أراكَ واقفًا كشجَرةِ الكازوارينا،
لماذا لم تَقُلْ لي : رحلةً موفّقةً؟
لماذا لم أقلْ لكَ: اربطْ حزامَ الأمان؟
اذهبْ من الشارعِ الخَلْفيّ فالعَسَسُ كثيرون،
لنفترقْ هنا، وَدَعْ لي اختيارَ الطريقِ بعينيّ المفتوحتَيْنِ،
ليس ألَمي مُقّدسًا لكنّ عينيّ خادِعتان :
كانتا تهربانِ إليكَ وأنتَ واقفٌ كشجرةِ الكازوارينا،
عندما كان المطارُ مزدحماً بالمسافرينَ،
وليس هناك سِوَانا : وَحيدَيْن .



تصميم الغلاف: أحمد اللباد



www.gocp.gov.eg

السعر: خمسة جنيهات